علوم القرآن من خلال مقدمة تفسير الطبري
وتطبيقاته في تفسيره سورة الرعد أنموذجاً

الباحثة

سلمى داود إبراهيم بن داود

علوم القرآن من خلال مقدمة تفسير الطبري وتطبيقاته في تفسيره سورة الرعد أنموذجاً

سلمى داود إبراهيم بن داود

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى استقراء مقدمة تفسير الطبري، وتفسيره لسورة الرعد، والتثوير والتنقيب عن علوم القرآن واستخراجها تأصيلاً لها، وترتكز هذه الدراسة على جانبين: الأول: في بيان علوم القرآن التي ذكرها الطبري في مقدمة تفسيره. الثاني: بيان علوم القرآن المتضمنة في تفسير الطبري، وكانت سورة الرعد أنموذجاً لذلك. والمنهج الذي اتبعته الدراسة هو المنهج الاستقرائي التطبيقي، ووزعت المادة العلمية في البحث إلى: مقدمة، وخمسة مباحث:

المبحث الأول: معالم عامة في سيرة الطبري، وتفسيره، وعلوم القرآن.

المبحث الثاني: مقدمة تفسير الطبري، ومنهجه فيها، والقضايا التي تطرق إليها.

المبحث الثالث: موضوعات علوم العربية، وعلوم القرآن المذكورة في المقدمات العشر.

المبحث الرابع: تطبيقات من تفسير الطبري على موضوعات علوم القرآن ــ سورة الرعد أنموذجاً ـ

المبحث الخامس: المقدمة ما لها، وما عليها، والقيم التربوية المستفادة منها.

وفي الختام توصلت الدراسة إلى نتائج تمخضت عن توصيات هي:

١. العناية بمقدمات التفاسير، واستخراج أنواع العلوم، والفنون، ومنها علوم القرآن.

٢. الاستفادة من جهود السلف، لتأصيل هذا العلم.

Summary Of The Research

This research aims to extrapolate the introduction of Al-Tabari Interpretation, and the interpretation of Surat Ar-Ra'd. Exploration, and searching about the science of the Holy Quran for rooting this science. This study is based on two aspects: the first aspect: clarifying Sciences of the Holy Quran mentioned by Al-Tabari in the introduction of his interpretation. The second aspect: clarifying Sciences of the Holy Quran contained in Al-Tabari interpretation, and Surat Ar-Ra'd was a small model of this. The approach that the study followed is the inductive, and applied approach. The scientific material of the search was distributed to: an introduction and five topics. The first topic: General landmarks in the biography of al-Tabari, his interpretation, and sciences of the Holy Quran .

The Second Topic: Introduction to the interpretation of Al-Tabari, The approach followed by him, and the issues which he dealt with .

The Third Topic: Issues of Arabic sciences and sciences of the Holy Quran which mentioned in the Ten introductions .

The Forth Topic: Applications of Al-Tabari interpretations on topics of sciences of the Holy Quran - Surat Ar-Ra'd is a small model.

The Fifth Topic: The Introduction, Educational Values Learned from them .

In The Conclusion, the study concluded findings which resulted in the following recommendations :

1. To concern about introductions of the interpretations, and extract types of sciences and arts, including the sciences of the Holy Quran .
2. Take advantage of predecessor's efforts for rooting this science.

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن القرآن الكريم كلام الله ـ عز وجل ـ أنزله على قلب نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليكون من المنذرين.

وما زال العلماء منذ نزوله يتعاقبون على دراسته، ويعكفون على النهل من معينه، والتزود من هدايته، ولعلماء التفسير أوفر الحظ والنصيب، حيث صرفوا هممهم لتدبر كتاب الله، وفهم مراده ـ عز وجل ـ فكانت المؤلفات العظيمة في التفسير على اختلاف مناهج أصحابها، ومن أعظم تلك المؤلفات تفسير الطبري المسمى بـ (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

فهو من أقوم التفاسير، وأشهرها، وهو المرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلي، والعقلي، نظراً لما فيه من الأقوال المأثورة مما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أو عن الصحابة والتابعين، وأتباعهم ـ رضي الله عنهم ـ[(١)]، ولما فيه من الاستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض.

وجاء تفسير الطبري في عصر كان الحديث النبوي هو العلم البارز والمشتهر الذي جمع المعارف الدينية (التفسير والتاريخ، والتشريع، ...) ، وكانت جميع أنواع العلوم هي جزء منه، أو باب من أبوابه. فأفرد الطبري التفسير عن الحديث، ورسم لنا منهجا في التفسير القرآني. ومن الجدير بالذكر: أنه ليس بدعاً في ذلك وقد سبقه إلى هذا المنهج عدد من المفسرين الذين فسروا القرآن سورة سورة غير أنه لم يتيسر للأمة الوقوف عليها إلا من خلال أقوال متناثرة ولا أدل على ذلك من تفسير الطبري الذي ضم عدداً كبيراً من التفاسير قبله، وضم عدداً من علوم القرآن في مقدمته.

ولعظم شأن مقدمة تفسير الطبري، حيث أجمع الباحثون في الشرق والغرب الحكم على عظيم قيمتها، وقيمة تفسيره، واتفقوا على أنه مرجع لا غنى عنه لطالب التفسير. لذا رأيت أن أقف على استخراج ما حوته مقدمة تفسيره من علوم تتعلق بكتاب الله تعالى، والمصطلح عليها حالياً بعلوم القرآن، وكتب التفسير هي المجال الرحب لاستخراج هذه العلوم، وتطبيقاتها، لأنها مبثوثة فيها، فعلماؤنا السابقون ـ رحمهم الله تعالى ـ كانوا على علم ودراية بالعلوم المتعلقة بكتاب الله تعالى، على تفاوت فيما بينهم، مع اشتراكهم في الحد الأدنى، الذي فسروا وصنفوا به تفاسيرهم، لأنها الوسيلة إلى فهم القرآن، لكنهم لم يفردوا تلك العلوم بالتأليف لأن الحاجة لم تكن ملحة في عصرهم إلى إفرادها بذلك، بحكم الواقع الذي كان يعيشه المجتمع المسلم آنذاك.

ونظراً لتأصيل علوم القرآن، ورغبة في عموم النفع، وإسهاماً في التنقيب، والتثوير، وجمع للعلوم من بطون مقدمات التفاسير، وخاصة مقدمة تفسير الطبري المشتملة على نفائس العلم، كتبت هذا البحث وقد أسميته هذا البحث بـ (علوم القرآن من خلال مقدمة تفسير الطبري، وتطبيقاته في تفسيره، سورة الرعد أنموذجاً).

وقد صُدر البحث بمقدمة، وخمسة مباحث تحتوي على معالم عامة في سيرة الطبري، وتعريف عام بتفسيره ومنهجه فيه، وخلاصة ما اشتملت عليه مقدمته من موضوعات علوم القرآن، ومزايا المقدمة، والمآخذ عليها. والمباحث هي:

المبحث الأول: معالم عامة في سيرة الطبري، وتفسيره، وعلوم القرآن. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالطبري.

المطلب الثاني: تعريف عام بتفسير الطبري.

المطلب الثالث: تعريف علوم القرآن.

المبحث الثاني: مقدمة تفسير الطبري، ومنهجه فيها، والقضايا التي تطرق إليها. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القضايا التي تطرق إليها الطبري في مقدمته.

المطلب الثاني: منهج الطبري الذي ذكره في مقدمته.

المبحث الثالث: موضوعات علوم العربية، وعلوم القرآن المذكورة في المقدمات العشر. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موضوعات متعلقة بعربية القرآن الكريم.

المطلب الثاني: موضوعات علوم القرآن.

المبحث الرابع: تطبيقات من تفسير الطبري على موضوعات علوم القرآن. سورة الرعد أنموذجاً.

المبحث الخامس: المقدمة ما لها، وما عليها، والقيم التربوية المستفادة منها. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهم مزايا المقدمة.

المطلب الثاني: المقدمة ما عليها.

المطلب الثالث: القيم التربوية المستفادة من المقدمة.

وختم البحث بذكر أهم النتائج، وذُيل بفهارس خادمة له.

منهج البحث:

١. استقرأت مقدمة الطبري، واستخرجت علوم القرآن منها.
٢. استقرئت تفسير الطبري لسورة الرعد لاشتمالها على أكثر علوم القرآن، واستخرجت علوم القرآن التي اشار إليها في تفسيره للسورة. وجعلتها أنموذجاً تطبيقياً لعلوم القرآن من تفسيره.
٣. بينت الموضوعات التي اشتملت عليها المقدمة وهي تنقسم إلى قسمين: موضوعات تتعلق بعربية القرآن، وأخرى بعلوم القرآن. ثم لخصت رأي الطبري فيها.
٤. اكتفيت بذكر مثالاً واحداً لكل علم من علوم القرآن المذكور في سورة الرعد.

ومن الله أستلهم الرشد، وأستهديه إلى سواء السبيل، وأفتقر إلى ما عنده، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

الدراسات السابقة:

لم أقف على مؤلف علمي عني باستخراج علوم القرآن من مقدمة تفسير بعينه، ولم أجد أحداً كتب عن علوم القرآن عند الطبري من خلال مقدمته وتفسيره، مما دعاني أكتب في هذا الموضوع من باب سد ثُلمة، وإضافة في الدراسات القرآنية، وقد وقفت على مؤلفات عديدة في مقدمة تفسير الطبري، وأخرى في منهجه في التفسير. وهناك بعض الرسائل العلمية التي كتبت في علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير كلها منها:

١. علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير للدكتور/ محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، رسالة دكتوراه.
٢. علوم القرآن من خلال مقدمات كتب التفسير، للباحثة/ أطيفة أحادوسن ـ كلية الآداب ـ المغرب.

المبحث الأول: معالم عامة في سيرة الطبري، وتفسيره، وعلوم القرآن. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالطبري(٢).

إن الأمة الإسلامية زخرت بعلماء كثيرين في كل عصر ومصر، وإن من العلماء الذين شُهد لهم بالعلم النافع والعمل الصالح إمام المفسرين أبو جعفر بن جرير بن يزيد الطبري، الذي لا يذكر علماء الإسلام الكبار إلا وذكر في عدادهم ولا يستشهد بأقوال العلماء في المسائل والاختلاف فيها إلا ويرد ذكره ضمنهم.

مولده ونشأته:

ولد الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري بأمل طبرستان، سنة أربع وعشرين ومئتين (٢٢٤هـ)، واستوطن بغداد إلى حين وفاته بها، وبها نشر علمه، وأملى معظم كتبه.

ونشأ في بيت علم وبيئة دينية حيث اهتم أبوه بتعليمه منذ الصغر، ويسر له أسباب التلقي، في حله وترحاله، فجمع من العلوم مالم يشاركه فيها أحد من أهل عصره، واشتهر بالحلم، والتواضع، وعزة النفس، والجرأة في الحق، والشجاعة في الإفصاح عن ما يعتقده.

ولقد كانت همة الطبري عالية، فتلقى العلم عن كثير من أعيان علماء عصره شرقاً وغرباً، ذلك العصر الذي يعتبر من أزهى عصور العلم والمعرفة (القرن الثالث، والرابع الهجريان) حيث استقرت المذاهب الفقهية الأربعة، ووضعت الكتب الصحاح في الحديث، واستقرت القراءات، وأخذت العلوم اللغوية في النضوج، وبدأت مؤلفات السير والمغازي، فتميز عصره بالتدوين، والتأليف، والتصنيف في العلوم الشرعية، والعربية، والمادية.

فمن العلماء الذين أخذ عنهم: الشيخ/ محمد بن حميد الرازي، والشيخ/ سفيان بن وكيع، وأحمد بن يحي ابن ثعلب إمام نحاة الكوفة في عصره، ويونس بن عبد الأعلى الصدفي الذي أخذ عنه قراءة حمزة، وقراءة ورش، وخلق كثير من علماء الشام، ومصر، والعراق، والمغرب.

وتتلمذ عليه خلق كثير من أبرزهم: القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف (٣٥٠هـ)، وهو من أجل أصحاب الطبري، ومن أكثر من كتب عنه، وجمع أخباره، وله كتاب في غريب القرآن، وجامع الفقه، والوقوف، ومنهم: القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني المعروف بابن طرار، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرعاني، وله كتاب "الذيل على تاريخ الأمم للطبري".

مصنفاته:

كان الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ شغوفاً بالعلم، لا يترك علما يمكنه تحصيله إلا سعى له، وأعد له العدة، فعاش ما يقرب من ستة وثمانين عاماً، ينتقل بين المدن والعواصم ينهل من علومها، فكان ذلك نتاجاً مترجماً في مؤلفاته المتنوعة فمنها غير تفسيره الذائع الشهرة:

تاريخ الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبري، واختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام، المعروف باختلاف الفقهاء، والقراءات وتنزيل القرآن، وغيرها كثير.

وفاته:

عاش الطبري ما يزيد عن ثمانين سنة، أمضاها في تحصيل العلم، والمدارسة، والتفقه في الدين وتعليمه حتى الزواج شُغل عنه بمتعة التعلم، والتعليم، وقد بُورك له في تلك السنين، فتضاعفت لتبقى ذكراه خالدة في التاريخ، وقد توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ببغداد يوم ست وعشرون شوال، سنة ثلاثمائة وعشر للهجرة، وقد حضر وقت موته جماعة فأوصاهم، وأكثر من التشهد، ورثاه خلق كثير.

المطلب الثاني: تعريف عام بتفسير الطبري.

يُعد تفسير الطبري المسمى بـ (جامع البيان عن بيان آي التأويل)، ومقدمته من أنفس ما كتب في هذا الفن، وقد تضمن تفسيره: بيان معاني الآيات، وجملة من علوم نفيسة أخرى، كعلوم القرآن، والعربية، والتاريخ، وغيرها، كما تضمنت قواعد وأسس تلك العلوم، وذكر الروايات بأسانيدها، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما التفاسير التي في أيدي العامة فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين"[(٣)]، وقال الإمام النووي: " أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثله"، وعدّه السيوطي من أجلّ التفاسير لتميز منهجه، ولهذا استعاره ابن خزيمة من ابن خالويه وأبقاه عنده عدة سنوات ثم قال مقولته: ما رأيت على أديم الأرض أعلم من ابن جرير"[(٤)].

وتعود أهمية هذا التفسير إلى كونه قائماً على المأثور من الأقوال مما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أو عن الصحابة، والتابعين ـ رضي الله عنهم ـ، إضافة إلى ما توصل إليه بإعمال الفكر، وإدامة النظر في النصوص، حتى فاق في مقدمته من جاء بعده، بل عُدّ مرجعا يستند إليه المفسرون والمصنفون في علوم القرآن.

ويمكن حصر أهم خصائص تفسير الطبري في النقاط التالية:

١. تناوله جميع الآيات، والسور بالتفسير وفق ترتيبها في المصحف، ومنهجه في تفسيرها: تجزئة الآية المراد تفسيرها، إلى جمل، ثم ذكر المعنى الإجمالي لكل جملة على حدة، مع بيان الخلاف إن وجد.

٢. اعتماده على المأثور (عن الصحابة والتابعين وأتباعهم) ـ رضي الله عنه ـ متبعاً طريقة الإسناد الدقيقة في عرض الروايات، دون ترتيب زمني أو غيره لسرد أقوالهم.

٣. عدم تعقبه بتصحيح، أو تضعيف الأسانيد في الأعم الأغلب، وأحياناً يقف من السند موقف الناقد البصير[٥].

٤. إيراده الطرق العديدة لإفادة المعنى الشرعي، أو اللغوي، أو غيرها.

٥. الاهتمام بالإعراب، وبيانه.

٦. عنايته بذكر القراءات، وتعليلها، وإنزالها على المعاني المختلفة، ومعالجته لها من حيث الإسناد، والمعنى، وله فيها منهج علمي بيِّنٌ[٦].

٧. كثرة إيراده للإسرائيليات، مع تباين موقفه منها بين مقر ومؤيد، ومستنكر، ورافض لها.

٨. عنايته بنقد المعنى، وتوجيهه النقد والترجيح بين الأقوال المختلفة فيه، فيجيز ما يراه الأقرب إلى الصواب معللاً اختياره بحجج نقلية، أو عقلية.

٩. نقله عن مفسرين كُثر قبله، مما جعل تفسيره وثيقة مهمةً ضمت عدداً كبيراً من التفاسير لم يتيسر الوقوف عليها إلا من خلال نقول في هذا التفسير[٧].

١٠. استخدامه للمنطق العلمي في تأصيل المسائل، وتقريرها.

١١. عنايته بالحجج النقلية والحجج العقلية في تفسيره.

المطلب الثالث: تعريف علوم القرآن.

علوم القرآن مركب مضاف من علوم، وقرآن، فالعلوم: جمع علم وهو نقيض الجهل[٨]. وللعلماء فيه عدة تعاريف منها: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، و: إدراك صورة الشيء في العقل، و: المسائل المضبوطة بجهة واحدة[٩].

القرآن: هو كلام الله تعالى المنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ المتعبد بتلاوته[١٠].

علوم القرآن: تحتمل إضافة العلوم إلى القرآن احتمالين: الأول: أن يراد بها علوم (المعلومات) التي تنطوي تحت ألفاظ القرآن، فأي معلومة نصَ عليها أو أشار إليها فهي من علومه، أي من معلوماته[١١].

الثاني: أن يراد به العلم المعروف، الذي أُلفت له المؤلفات في علوم القرآن، فعرف بأنه: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه، ونحو ذلك[١٢].

المبحث الثاني: مقدمة تفسير الطبري، ومنهجه فيها، والقضايا التي تطرق إليها. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القضايا التي تطرق إليها الطبري في مقدمته.

مقدمة الطبري ليست مجرد مقدمة يُعرف فيها المفسر بمنهجه في التفسير، وإنما عبارة عن علوم متنوعة في فنون عديدة، كتبت بلطائف أدبية، تستقطب العقل وتمتع الفكر، وتهتف إلى الإقناع، والإمتاع معاً، وكان لحصيلته العلمية أثر واضح في توسعه في مقدمة التفسير، والتي حوت على عشر مقدمات قدمها بين يدي تفسيره، ووجد منها منطلقا فسيحا رحبا للحديث عن علوم القرآن، وموضوعات متفرقة كالتالي:

أولاً: البدء بالبسملة، وذكر زمن تأليف الكتاب.

استفتح الطبري مقدمته بالبسملة، ثم شرع في بيان زمن التأليف، حيث قال: "قرئ على أبي جعفر محمد بن جرير الطَّبري في سنة ست وثلاث مئة" مما يدلنا على أنه ألف تفسيره هذا قبل وفاته بسنوات يسيرة، لأنه توفي سنة (٣١٠هـ)، وقرئ عليه سنة

(٣٠٦هـ)، كما دلَ ذلك على أنه لم يُقدم على التفسير إلا بعد نضوج الفكر، وتحصيل العلوم، والتزود بوسائل العلم عامة، وطرائق التفسير خاصة، وقد مرّ هذا التفسير بثلاث مراحل: الأولى: مرحلة الإملاء الأولى، وكانت سنة سبعين ومئتين (٢٧٠هـ)، والمرحلة الثانية: كانت من سنة ثلاث وثمانين ومئتين إلى سنة تسعين (٢٨٣ـ٢٩٠هـ)، ثم المرحلة الثالثة: في سنة (٣٠٦هـ)(١٣).

ثانياً: خطبة المقدمة:

استهل الطبري مقدمة تفسيره بخطبة إنشائية بليغة، ظهر فيها تعمقه في العلوم العربية، والنكات البلاغية، أثنى فيها على الله تعالى بما هو أهله، وحمده وشكره على فضله، ونزهه عن الند والمثل سبحانه، وبيَن أهمية إرسال الرسل عامة، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة وما فُضل به من النبوات، والمعجزات، وما خص الله تعالى به أمته من الفضيلة والشرف بحفظ كتاب ربها ـ عز وجل ـ، ومعجزة نبيها عليه أفضل الصلاة، وأتم السلام التي جعلها دليلاً على حقيقة نبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ثم بين فضل العناية بكتاب الله تعالى من حفظه، والعلم بحدوده، ليؤكد أن أحق ما صُرفت إليه الهمم هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، واستشهد في هذه الخطبة بالآيات القرآنية، واستخدم تركيب (أما بعد) مما جعل مقدمته لطيفة أدبية، وتركيبة إبداعية، تستقطب العقل، وتمتع الفكر.

وتُعد هذه الخطبة موضوعاً دينياً متكاملاً يُذكر البشر بأساسيات التدين، وهي نموذج للفكر الإسلامي عن الدين والرسل، والقرآن. ثم سرد عدداً من علوم التفسير والتي اندرجت فيما بعد في علوم القرآن، فعلوم القرآن أوسع و أشمل من علوم التفسير(١٤).

ثالثاً: سبب التأليف:

بعد أن فرغ من مقدمته الإنشائية شرع في بيان سبب تأليفه، حيث قال: "ونحن في شرح تأويله وبيان ما فيه من معانيه منشئون ـ إن شاء الله ـ ذلك كتاباً مستوعباً لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه، جامعاً ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافياً"(١٥). ثم ذكر منهجه في الروايات المذكورة، كما سيأتي بيانه.

مما سبق يتضح أنه ألف تفسيره من أجل سد حاجة الناس، وهذا السبب يدعيه غالب من يكتب في التفسير. وبيَن مقصده، ومن أهم فوائد معرفة مقصد المؤلف من تأليفه ترك بعض المآخذ عليه، فلا يستدرك عليه ما ليس من مقصده، وقد وفى ـ رحمه الله تعالى ـ لما ذكره في مقدمته، فتفسيره بالفعل احتوى على ما تضمنته كثير من كتب علوم القرآن، ولا سيما كتب العربية.

المطلب الثاني: منهج الطبري الذي ذكره في مقدمته.

لم يكن الطبري يؤلف تفسيره لمجرد الهوى أو التشهي، بل كان يسير على منهج الرأي المحمود، وكان سيره على منهج واضح وخطة مقننة، حيث بدأ تفسيره بمقدمة مستفيضة لكتابه، تحتوي علوم القرآن عامة، وأصول التفسير خاصة ليلزم بها نفسه، ويرسم الطريق لمن يأتي بعده، محاولة منه ـ رحمه الله تعالى ـ لإيجاد الفهم السليم، والكشف عن مراد الله تعالى وجني الثمار من تدبره، وفهمه، وفسره.

ووضح منهجه بذكر الروايات، وبيان موضوعات التفسير، والمقدمات العشر:

أولاً: منهج الطبري في التعامل مع الروايات:

قبل سرده للمقدمات بينّ منهجه في التعامل مع الروايات، حيث قال: "مخبرون في كل ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه منه، واختلافها فيما

اختلفت فيه منه، ومبينو علل كل مذهب من مذاهبهم، وموضحو الصحيح لدينا من ذلك، بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك، أخصر ما أمكن من الاختصار فيه". ويمكن تلخيص منهجه في الروايات كالتالي:

١. يلخص المعنى العام للآية المأخوذ غالبا من الروايات المأثورة، ثم يعقب عليه بذكرها، ويقدر إجماع الأمة، ويعطيه درجة كبيرة، و مستوعبا لجميع الروايات التي بلغته سواء كانت متفقة أو مختلفة. (ومخبرون في كل ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه منه).

٢. يشير إلى علل الأقوال، ويوجهها بذكر الأقوال الأخرى التي قيلت في معنى الآية ويتبعها بذكر الروايات التي تؤيد كل قول، (واختلافها فيما اختلفت فيه منهُ. ومُبيِّنو عِلَل كل مذهب من مذاهبهم).

٣. يرجح بين هذه الأقوال، ويُبيّن الصحيح من الضعيف منها، مبينا سبب ترجيحه[١٦]، (ومُوَضِّحو الصحيح لدينا من ذلك، بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه).

ويقبل الرواية كما ذكر في مقدمته إذا ثبتت بإحدى الطرق الثلاثة:

أ - إما من جهة النقل المستفيض، وهو ما يعرف بالمتواتر.

ب - وإما من جهة نقل العدول الأثبات، وهو ما صح من النقل غير المتواتر.

ج - وإما من وجه الدلالة المنصوبة على صحته، وهو ما يعرب بالعربية عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن.

ثانياً: موضوعات التفسير:

سرد الطبري أربعة عشر موضوعاً من موضوعات علوم التفسير في نهاية مقدمته الإنشائية عند الدعاء، فقال: "اللهم فوفقنا لإصابة القول في محكمه، ومتشابهه، وحلاله، وحرامه، وعامه، وخاصه، ومجمله، ومفسره، وناسخه ومنسوخه، وظاهره، وباطنه، وتأويل آية، وتفسير مشكله"[١٧].

ثالثاً: المقدمات العشر:

ذكر الطبري عدداً من المقدمات بين يدي تفسيره بلغت عشر مقدمات، حسب تقسيمه، يطول في بعضها النفس طولا ملحوظا حتى أنه يفصل بين إيراد السؤال وجوابه الصفحات، ويقصر في البعض الآخر، لكنه أدمج بينها وأدخلها تحت مسمى واحد ربما لوحدة الموضوع، وقد سودت هذه المقدمات مائة وأربع صفحات[١٨]. وربط كل مقدمة بالتي قبلها، ووصلها بالتي تليها، وعلى المتقدم بنى المتأخر، وخاصة إذا كان مقررا لفكرة، أو منتصرا لرأي سعى لإثبات ذلك منطقيا متدرجا من المسلمات إلى الجزئيات المختلف فيها، جاعلا كل جزئية نتيجة للتي قبلها، حتى إذا ما انتهى صرح بمراده، كما في المقدمة الأولى له، وكثيرا ما يلخص المسألة بعد فرطها، كما في المقدمة الخامسة.

وهذه المقدمات هي:

١. القول في البيان عن اتفاق معاني آي القرآن، ومعاني منطق من نزل بلسانه القرآن من وجه البيان، والدلالة على أن ذلك من الله ـ عز وجل ـ هو الحكمة البالغة مع الإبانة عن فضل المعنى الذي به باين القرآن سائر الكلام.

٢. القول في البيان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم.

٣. القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب.
٤. معنى قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "أنزل القرآن من سبعة أبواب الجنة"، وذكر الأخبار الواردة في ذلك.
٥. القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن.
٦. ذكر بعض الأخبار التي رُويت بالنهي عن القول في تأويل القول بالرأي.
٧. ذكر بعض الأخبار التي رُويت في الحضِّ على العلم بتفسير القرآن، ومن كان يفسره من الصحابة.
٨. ذكر الأخبار التي غلط في تأويلها منكرو القول في تأويل القرآن.
٩. ذكر الأخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محموداً علمه بالتفسير، ومن كان منهم مذموماً علمه به.
١٠. القول في تأويل أسماء القرآن، وسورة، وآية.

المبحث الثالث: موضوعات علوم العربية، وعلوم القرآن المذكورة في المقدمات العشر. وفيه مطلبان:

تمهيد: يعدُ الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ من أوائل من كتب في علوم القرآن من خلال المواطن اليسيرة المذكورة في المقدمة، فشأنه في ذلك شأن من ألف في التفسير في ذلك القرن، إذ لم تكن موضوعات علوم القرآن الغرض الأولي، والمباشر من تأليفهم، تبعاً لمتطلبات واقعهم، وعصرهم آنذاك، ولذا تطرق إليها الطبري ـ رحمه الله ـ من خلال مقدمته، في أولها عندما قال: "اللهم فوفقنا لإصابة القول في محكمه، ومتشابهه، وحلاله، وحرامه، وعامه، وخاصه، ومجمله، ومفسره، وناسخه ومنسوخه، وظاهره، وباطنه، وتأويل آيه، وتفسير مشكله"، وفي وسطها في المقدمات العشر، ومن

خلال استقراء مقدمة الطبري يمكن تقسيم الموضوعات المبيَّنة في هذه المقدمات إلى قسمين في المطلبين التالين:

المطلب الأول: موضوعات متعلقة بعربية القرآن الكريم. والمطلب الثاني: موضوعات علوم القرآن، وأصول التفسير. وموضوعات القسم الأول يدخل في القسم الثاني باعتبار لغة القرآن الكريم، ودراسته تُعدُ من موضوعات علوم القرآن لتعلقه به، وقد قال الشاطبي(١٩) : "العلوم المضافة إلى القرآن تنقسم على أقسام: قسم هو كالأداة لفهمه واستخراج ما فيه من الفوائد، وكالمعين على معرفة مراد الله تعالى منه كعلوم اللغة العربية التي لا بد منها، وعلم القراءات، والناسخ والمنسوخ، وقواعد أصول الفقه ـ إلى أن قال فيما هو وسيلة لفهم القرآن ـ ما هو وسيلة بالحقيقة، فإن علم العربية، أو علم الناسخ والمنسوخ، وعلم الأسباب، وعلم المكي والمدني، وعلم القراءات، وعلم أصول الفقه، معلوم عند جميع العلماء أنها مُعينة على فهم القرآن"(٢٠).

المطلب الأول: موضوعات متعلقة بعربية القرآن الكريم:

تحدث الطبري في هذا القسم عن كون القرآن نزل باللسان العربي وفي كلامه استنباط عقلي على أن التحدي الأول للعرب هو كون القرآن نزل بلسانهم.

- فذكر أن القرآن الكريم نزل باللسان العربي كما دلَّ على ذلك الدليل وأما الدليل العقلي المستنبط من كلامه فقد بين ـ رحمه الله تعالى ـ أن من نعم الله تعالى على عباده ما منحهم من فضله بتمكينهم التعبير عما في نفوسهم بالبيان بألسنتهم، ثم إن الناس يتفاوتون في البيان فهم فيه على طبقات ودرجات.

وأفضلهم أبينهم عن نفسه، أنه فضل أهل البيان على أهل البكم والمستعجم اللسان، ولما كان العرب من أبين الناس وأبلغهم فقد أنزل الله تعالى القرآن بلسانهم

ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله، بل عجزوا عن الرد على رسـول الله ـ صـلى الله عليه وسلم ـ بلسانهم مع أن القرآن عابهم وعاب دينهم وعاداتهم وأصنامهم بلسانهم العربي الذي برعوا فيه بلاغة وفصاحة وبياناً، ولكنهم عجزوا عن الرد بلسـانهم مـع كونهم أبلغ الناس وأفصحهم فحاربوه وعادوه وطردوه، فكان التحدي الأول لهم هو كون القرآن بلسانهم.

- ذكر أنه يستحيل أن يخاطب الله تعالى أمة ويرسل رسولاً بمنطـق مخـالف لقومـه أن المخاطب أو المرسل إليه إن لم يفهم مـا خوطـب بـه وأرسـل بـه إليـه فحالـه قبـل الخطاب والرسالة وبعده سواء فلا فائدة من الخطاب والرسالة.
- بين طرق و أساليب العرب في الكـلام وأن القـرآن اسـتخدم هـذه الأسـاليب ولا يشترط أن تكون كل أسـاليب العـرب موجـودة في القـرآن. وموضـوعات علـوم العربية التي أشار إليها الطبري هي:

الموضوع الأول: بيان أهمية اللغة العربية التي نزل بها القرآن.

هذا المبحث هو أول مقدماته العشر، وقـد أكـد فيـه علـى أن مـن لم يعايـن رياضـة العلـوم العربية، ولم يعرف تصاريف هذا اللسان وجودتـه يقـف عـاجزاً عـن فهم معاني القرآن الكريم، وأن من نعم الله تعالى علينا نعمة البيان، وبهـا كـان حجـة على من كانوا رؤساء صناعة الخطب والبلاغـة والفصـاحة، وبـينّ في المبحـث بعـض الأساليب العربية المستعملة في القرآن الكريم.

الموضوع الثاني: اللسان الذي نزل به القرآن الكريم.

بينً في هذا المبحث أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، واستدل على ذلك بأدلـة عقلية، وأخرى نقلية تبين أن الرسول يُرسل بلسان قومـه، فبـدأ بالاسـتدلال العقلـي حيث تحدث عن وجه التحدي الأول في القرآن، بأن ما في القـرآن مـن منطـق يوافـق

منطق العرب، ومع ذلك عجزوا عن معارضته، حيث قال بعد أن أظهر نعمة اللسان، وفضل البيان: "فإن كان ما وصفنا من ذلك كالذي وصفناه، فبين ألا بيان أبين ولا حكمة أبلغ ولا منطق أعلى ولا كلام أشرف من بيان ومنطق تحدى به امرؤ قوما في زمان هم فيه رؤساء صناعة الخطب والبلاغة وقيل الشعر والفصاحة والسجع والكهانة على خطيب منهم وبليغ وشاعر منهم وفصيح وكل ذي سجع وكهانة، فسفه أحلامهم، وقصر بعقولهم، وتبرأ من دينهم، ودعا جميعهم إلى اتباعه، والقبول منه، والتصديق به، والإقرار بأنه رسول إليهم من ربهم، وأخبرهم أن دلالته على صدق مقالته وحجته على حقيقة نبوته، ما أتاهم به من البيان والحكمة والفرقان، بلسان مثل ألسنتهم، ومنطق موافقة معانيه معاني منطقهم" إلى آخر ما قال.

- فهذا استدلال عقلي من الطبري رحمه الله تعالى مرتبط بالنظر التاريخي، إذ إن القرآن نزل في قوم كانوا يمجدون أصنامهم فجاء يسفه أحلامهم، وتحداهم بأن يأتوا بسورة من مثلها التي تفضح حالهم، وتبين أخطاءهم، فعجزوا، بل ماتوا وهم عاجزون عن ذلك، فلما تركوا اللسان إلى السنان دلّ هذا على عجزهم، وإلا كيف يقاتلونه وقد طلب ـ عليه الصلاة والسلام ـ منهم أقل من دمائهم؟! طلب منهم سورة من منطقهم فعجزوا.
- وبعد أن انتهى من الاستدلال العقلي انتقل إلى الاستلال النقلي، فذكر قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ سورة يوسف: آية ٢، وقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ سورة الشعراء: آية ١٩٢ـ١٩٥.
- واختتم هذا المبحث بتقرير قاعدة: أن أي بيان للقرآن بغير لغة العرب فهو دليل على بطلانه، حيث قال: "وإذ كانت واضحة صحة ما قلنا بما عليه استشهدنا من

الشواهد، ودللنا عليه من الدلائل، فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلامها ملائما، وإن باينه كتاب الله بالفضيلة"[٢١].

الموضوع الثالث: اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب:

بعد أن قرر أن القرآن عربي ليس فيه شيء أعجمي أخذ يبين بأي لهجة نزل، وما هو اللسان الذي نزل به؟ بمعنى من أي ألسن العرب نزل؟

وذكر الروايات الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف، وهي عنده أخبار تظاهرت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في اللغات التي نزل بها القرآن، والتي بلغت ستة وستين أثراً، رواها كلها بسنده، وبينت بمجموعها نزول القرآن على سبع لغات، وحمل المراد بالسبعة على أنها سبع لغات (ألسن) من لغات العرب التي هي أكثر من ذلك، لكن القرآن نزل على سبع منها فقط. ثم فرق بين الأحرف السبعة، والأبواب السبعة، فالحرف عنده يعني اللغة أو اللسان حيث قال: "نزل بسبع لغات، وأمر بقراءته على سبعة ألسن"، وقال: " والسبعة الأحرف هو ما قلناه من أنه الألسن السبعة" ثم أورد أثرين في هذا الباب وفصل بينهما، وهما: أثر في اللغات، وآخر في المعاني، فقال في بيان الحديث: "أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة" السبعة الأحرف هو ما قلنا من أنه الألسن السبعة، والأبواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، والقصص، والمثل"، ثم أخذ يدلل على ما ذهب إليه من أن الاختلاف كان مرتبطاً بالقراءة، ولم يرتبط بالمعاني، لأن الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ لما احتكموا إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حال اختلافهم في القراءة عدَل لهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ في القراءة ولم يعدَل في المعنى. وهذا المبحث في المقدمة الثالثة الطويلة[٢٢].

الموضوع الرابع: طرق البيان في كلام العرب، وهي الأساليب التي استعملت في القرآن الكريم.

بعد أن بيّنَ الطبري عربية القرآن، شرع في بيان الأساليب العربية في القرآن الكريم لمزيد من الاستدلال على أن نزول القرآن بلسان عربي مبين، والإمام الطبري من أكثر المفسرين لبيان أساليب العرب في القرآن الكريم، فقد ذكر خلال مقدمته عشرين أسلوباً منها، حيث قال: "فبيِّن إذ كان موجوداً في كلام العرب: الإيجاز والاختصار والاجتزاء بالإخفاء من الإظهار، وبالقلة من الإكثار في بعض الأحوال، واستعمال الإطالة والإكثار، والترداد والتكرار، وإظهار المعاني بالأسماء دون الكناية عنها، والإسرار في بعض الأوقات، والخبر عن الخاص في المراد بالعام الظاهر، وعن العام في المراد بالخاص الظاهر، وعن الكناية والمراد منه المصرح، وعن الصفة والمراد الموصوف، وعن الموصوف والمراد الصفة وتقديم ما هو في المعنى مؤخر، وتأخير ما هو في المعنى مقدم، والاكتفاء ببعض من بعض، وبما يظهر عما يحذف وإظهار ما حظه الحذف أن يكون ما في كتاب الله المنزل على نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ذلك في كل ذلك له نظيرا وله مثلا وشبيها"(٢٣).

وذكره لهذه الأساليب كان ضمن المقدمة الأولى التي أكد فيها أن معاني كتاب الله تعالى المنزل على نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي لمعاني كلام العرب موافقة، ولأساليبه في أساليبها نظير وإن كان مباينة كتاب الله بالفضل والفضيلة ظاهر.

الموضوع الخامس: بيان اتفاق الأجناس في اللفظ.

هذا في المقدمة الثانية له بعد أن أوضح تنزيه الله تعالى مخاطبة أحد من خلقه إلا بما يفهمه، أخذ يثبت عربية جميع ألفاظ القرآن الكريم، وإزالة الإشكال الوارد في بعض الآثار فيما يخص أعجمية بعض ألفاظ القرآن، فهي لا تخالف ما تقرر من عربية القرآن في جميع ألفاظه وإنما دلت على اتفاق بين الأجناس في معنى هذه الألفاظ،

حيث قال: "القول في البيان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم" ثم أورد سؤالاً قائلاً: "إن سألنا سائل، فقال: إنك ذكرت أنه غير جائز أن يخاطب الله أحداً من خلقه إلا بما يفهمه، وأن يرسل إليه رسالة إلا باللسان الذي يفقهه، فما أنت قائل فيما حدثكم... " ثم أورد بسنده ست روايات تبين اختلاف الأجناس في اللفظ منها: ما رواه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قول الله تعالى:﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ... ﴾ سورة المزمل: آية ٦، قال: بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل قالوا: "نشأ" ثم أجاب قائلاً: "قيل له: أما الذي قالوه من ذلك غير خارج من معنى ما قلنا من أجل أنهم لم يقولوا: هذه الأحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاماً، ولا كان ذاك لها منطقا قبل نزول القرآن، ولا كانت بها العرب عارفة قبل مجيء الفرقان فيكون ذلك قولا لقولنا خلافاً وإنما قال بعضهم: حرف بلسان الحبشة معناه كذا وحرف بلسان العجم معناه كذا، ولم نستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد، فكيف بجنسين منها؟ كما قد وجدنا اتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة، وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس، وغير ذلك مما يتعب إحصاؤه ويمل تعداده كرهنا إطالة الكتاب بذكره مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى، ولعل ذلك كذلك في سائر الألسن التي يجهل منطقها، ولا يرف كلامها"[(٢٤)].

ولا يفهم من كلامه رحمه الله تعالى أن العرب أخذت هذا اللفظ وما أشبهه من غيرهم من الأمم والأجناس، ولا العكس. وقد ذهب ـ رحمه الله تعالى ـ يدلل على ما ذهب إليه باستدلالات وقواعد علمية منها:

أ) أن الألفاظ التي تسمى أعجمية هي مما اتفقت فيها اللغات.

ب) قاعدة في المتضادات، إذ لا تكون في آن واحد، فضد قائم قاعد، ولا يكون في آن واحد قائم قاعد، ولكن إما قائم، وإما قاعد، حيث قال: "ونسبة بعضهم بعض ذلك إلى لسان الروم، لأن من نسب شيئاً من ذلك إلى ما نسبه إليه، لم ينف بنسبته إياه إلى ما نسبه إليه أن يكون عربياً ولا من قال منهم: هو عربي نفى ذلك أن يكون مستحقا النسبة إلى من هو من كلامه من سائر أجناس الأمم غيرها، وإنما يكون الإثبات دليلاً على النفي فيما لا يجوز اجتماعه من المعاني، كقول القائل: فلان قائم. فيكون بذلك من قوله دالاً على أنه غير قاعد، ونحو ذلك مما يمتنع اجتماعه لتنافيهما"(٢٥).

ج) رد على من اعترض على تعدد اللغات وبين أنه إنما أوتي من قبل جهله، لأنه وازن تعدد اللغات بالنسب، واحتج لذلك بحجة عقلية لصحة اتفاق اللغات في بعض الكلمات، وذكر مثالاً من التضاريس الأرض السهلية والجبلية، حيث قال: "فإن اعتلَّ في ذلك بأقوال السلف التي قد ذكرنا بعضها وما أشبهها، طولب مطالَبَتنا من تأوَّل عليهم في ذلك تأويله ـ بالذي قد تقدم بيانه. وقيل له: ما أنكرتَ أن يكون من نسب شيئًا من ذلك منهم إلى من نسبه من أجناس الأمم سوى العرب، إنما نسبه إلى إحدى نسبتيه التي هو لها مستحق، من غير نَفيٍ منه عنه النسبة الأخرى؟ ثم يقال له: أرأيتَ من قال لأرض سُهْلية جبلية: هي سُهلية، ولم ينكر أن تكون جبلية، أو قال: هي جبلية، ولم يدفعْ أن تكون سُهْلية، أنافٍ عنها أن تكون لها الصفة الأخرى بقيله ذلك؟ فإن قال: نعم! كابر عَقْلَه. وإن قال: لا قيل له: فما أنكرت أن يكون قولُ من قال في سجّيل: هي فارسية، وفي القسطاس: هي رومية– نظيرَ ذلك؟ وسأل الفرقَ بين ذلك، فلن يقولَ في أحدهما قولا إلا ألزِم في الآخر مثله"(٢٦).

المطلب الثاني: موضوعات علوم القرآن.

ذكر الطبري عدداً من موضوعات علوم القرآن ضمن المقدمات العشر التي كتبها في مقدمة تفسيره، وهذه الموضوعات هي:

الموضوع الأول: الأحرف السبعة.

أولاً: رأي الطبري في الأحرف السبعة، ومعناها.

أبان الطبري عن رأيه بوضوح في معنى الأحرف السبعة عندما تحدث عن اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب فالأحرف السبعة عنده: هي لغات سبع في حرف واحدٍ، وكلمة واحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني.

وبالنسبة لمذهبه في بقاء هذه الأحرف، فهو يرى أن الموجود الآن هو حرف واحد، وبقية الأحرف الستة قد نسخت.

ثم بين العلة التي أوجبت الثبات على حرف واحد دون سائر الحروف، واستهل ذلك بذكر جملة من الآثار مشيراً إلى كثرتها في هذا المعنى، وموضحاً أن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ هو الذي جمع الأمة على حرف واحد إشفاقاً عليهم ورأفة بهم لما رأى التكذيب ببعض الأحرف رغم حداثة عهدهم.

كما احتج بالقياس، وذلك أن الأمة خُيرت في قراءة، وحفظ القرآن بأي تلك الأحرف السبعة، كما خُيرت في كفارة اليمين إذا حنثت، فقال: "فإن قال: فما بال الأحرف الأخَرِ الستة غير موجودة، إن كان الأمر في ذلك على ما وصفتَ، وقد أقرأهن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه، وأمر بالقراءة بهنّ، وأنزلهن الله من عنده على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟ أنسخت فرُفعت، فما الدلالة على نسخها ورَفعها؟ أم نسيتهن الأمة، فذلك تضييعُ ما قد أمروا بحفظه؟ أم ما القصةُ في ذلك؟

قيل له: لم تنسخ فترفع، ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها. ولكنّ الأمة أمرت بحفظ القرآن، وخُيِّرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت. كما أمرت، إذا هي حَنِثتْ في يمين وهي مُوسرة، أن تكفر بأيِّ الكفارات الثلاث شاءت: إما بعتق، أو إطعام، أو كسوة. فلو أجمعَ جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث، دون حَظرها التكفيرَ بأي الثلاث شاءَ المكفِّر، كانت مُصيبةً حكمَ الله، مؤديةً في ذلك الواجبَ عليها من حق الله. فكذلك الأمة، أمرت بحفظ القرآن وقراءته، وخُيِّرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت: فرأت لعلة من العلل أوجبتْ عليها الثباتَ على حرف واحد- قراءتَهُ بحرف واحدٍ، ورفْضَ القراءة بالأحرف الستة الباقية، ولم تَحْظُرْ قراءته بجميع حروفه على قارئه، بما أذن له في قراءته به".

فهو قاس الأحرف السبعة بالكفارات، ويجاب عليه بأن يقال: لا يجوز للأمة أن تجمع على جواز ترك كفارتين فالأمة خُيرت في الاختيار، ولم تخير في المطلق، وهذا قياس مع الفارق(٢٧).

وهذا المبحث يعتبر نموذجا للموضوعات التي أطال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ فيها النفس، وبلغ اثنتين وأربعين صفحة وتدرج فيه بتقرير ما ذهب إليه، حيث سبقت هذه المقدمة مقدمتان أثبت في الأولى منها عربية كل ما جاء في القرآن وفي الثانية اتفاق الأجناس في بعض الأحرف. ثم أثبت في هذه المقدمة اللسان الذي نزل عليه القرآن من تلك الألسنة، ثم فرق بين اللغات السبع، والأبواب السبعة، وبعده بيَن العلة التي أوجبت الثبات على حرف واحد، ورد على الإشكال الوارد لدى بعض العامة من أن الأحرف السبعة هي القراءات السبعة، وختم بتقرير عدم الفائدة من معرفة تلك الأحرف المنسوخة لكونها متروكة.

ويمكن تلخيص رأي الطبري في الأحرف السبعة فيما يلي:

١) أن القرآن الكريم نزل بألسن بعض العرب دون الجميع فالمعلوم أن ألسن العرب ولغاتها أكثر من سبعة بل يعجز عن إحصاء لغاتهم فالقرآن نزل ببعضها دون الجميع(٢٨).

٢) أن المراد بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن هي الألسن السبعة، وأن الأبواب السبعة من الجنة هي المعاني التي في الأحرف السبعة(٢٩)، فهو نزل بسبع لغات هي بعض لغات العرب(٣٠)، وأن هذه الأحرف تتعلق بالتلاوة في اختلاف في الألفاظ دون ما فيها من المعاني، بدليل أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صوب قراءة من اختلف من الصحابة و أقر كل واحد منهم على قراءته، ولو كان فيها اختلاف للمعنى لما أقر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلاً منهم على تلاوته فهم اختلفوا في القراءة واللفظ دون التأويل. فاختلاف القراءات هي اختلاف في اللغات (أي: الأحرف) ولا دخل لها في المعنى بل هي في اللفظ فقط(٣١) وذكر الآثار الواردة بذلك(٣٢).

٣) إن الأحرف السبعة هي لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني و ليست كما ذهب البعض من أنها أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن بل هي لغات سبع في حرف واحد وكلمة واحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني(٣٣).

٤) أن هذه اللغات السبع المجتمعة في حرف واحد وكلمة واحدة ليست موجودة اليوم ولم تنسخ ولا ضيعتها الأمة ولكن الأمة خيرت في القراءة بهذه الأحرف فهي أنزلت للتيسير عليهم وتخييراً لهم، فالأمة مخيرة في ترك ما شاءت من هذه الأحرف، ولما كانت الأمة مأمورة بحفظ القرآن فرأت الثبات على حرف واحد والقراءة بحرف واحد وترك الأحرف الستة الباقية(٣٤) فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الذي اختاره لهم عثمان ـ رضي الله عنه ـ دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية(٣٥).

٥) ذكر العلة التي أوجبت على الأمة الثبات على حرف واحد دون سائر الأحرف الستة الباقية[٣٦].

٦) أن الأمر بالقراءة بالأحرف السبعة هو أمر إباحة ورخصة لا أمر فرض وإيجاب، فما فعله الصحابة بتركهم نقل جميع القراءات السبعة تاركين فرضاً بل كان الواجب عليهم فعل ما فعلوه.

٧) الأحرف الستة التي قد نزلت القراءة بها لا حاجة لمعرفة من أي ألسن العرب هي لأننا لم نقرأ بها اليوم، وأما الحرف السابع الذي نقرأ به اليوم فهو حرف قريش الذي جمعهم عليه عثمان ـ رضي الله عنه ـ.

٨) فرق الطبري بين الوجه و الحرف، فالحرف لديه هو اللغة و اللسان، والوجه هو اختلاف القراءة في رفع وجر ونصب ونحوه[٣٧].

ثانياً: القول في البيان عن معنى قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "نزل القرآن من سبعة أبواب".

تحدث الطبري في هذا المبحث عن معنى أن القرآن الكريم أنزل من سبعة أبواب الجنة وذكر الأخبار الواردة بذلك[٣٨].

ويمكن أن نلخص رأي الطبري في ذلك بالتالي:

١) أن القرآن أنزل على سبعة أحرف من سبعة أبواب.

٢) أن كل وجه من الأوجه السبعة التي نزل بها القرآن باب من أبواب الجنة الذي نزل منه القرآن، فالعامل بكل وجه من أوجهه السبعة عامل على باب من أبواب الجنة، وأبواب الجنة هي: (الأمر والنهي والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال).

٣) أن الكتب السابقة نزلت على حرف واحد (أي: من باب واحد إما تذكير ومواعظ أو تمجيد ومحامد وحض على الصفح والإعراض) واختصت أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنزول القرآن من سبعة أبواب.

٤) أن كل الكتب السابقة نزلت بلسان واحد، وإن اللسان متى حول لغيره كان ذلك ترجمة وتفسيراً لا تلاوة له على ما أنزله الله تعالى، وأنزل كتابنا على ألسن سبعة بأي تلك الألسن تلاه التالي كان له تالياً على ما أنزل الله لا مترجماً ولا مفسراً[٣٩].

الموضوع الثاني: الوجوه التي يفسر بها القرآن الكريم:

ذكرها الطبري في المقدمة الخامسة، واستهلها بسرد الآيات الدالات على أن تبيان الذكر هو من خاصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ووضح أن هناك وجوهاً للتأويل ثلاثة، قال الطبري: "فقد تبين أنّ مما أنزل الله من القرآن على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ما لا يُوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وذلك تأويل جميع ما فيه: من وجوه أمره ـ واجبه ونَدْبِه وإرْشاده ـ، وصنوفِ نَهيه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعضَ خَلْقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آية، التي لم يُدرَك علمُها إلا ببيان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأمَّته. وهذا وجهٌ لا يجوز لأحد القول فيه، إلا ببيان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ له تأويلَه بنصٍّ منه عليه، أو بدلالة قد نصَبها دالَّةٍ أمَّتَه على تأويله.

- وأنّ منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار. وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية كوقت قيام الساعة، والنفخ في الصور، ونزول عيسى بن مريم، وما أشبه ذلك: فإن تلك أوقاتٌ لا يعلم أحدٌ حدودَها، ولا يعرف أحدٌ من

تأويلها إلا الخبرَ بأشراطها، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه. وبذلك أنزل ربُّنا محكم كتابه، فقال: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سورة الأعراف: آية ١٨٧. وكان نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا ذكر شيئًا من ذلك، لم يدلّ عليه إلا بأشراطه دون تحديده بوقته كالذي روى عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال لأصحابه، إذ ذكر الدجّال: إنْ يخرجْ وأنا فيكُم، فأنا حَجِيجُه، وإن يخرجْ بعدي، فالله خليفتي عليكم" وما أشبه ذلك من الأخبار ـ التي يطُول باستيعابها الكتاب ـ الدالّةِ على أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن عنده علمُ أوقاتِ شيء منه بمقادير السِّنين والأيام، وأن الله ـ جل ثناؤه ـ إنما كان عرَّفه مجيئه بأشراطه، ووقَّته بأدلته.

- وأن منه ما يعلم تأويلَه كلُّ ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن. وذلك: إقامةُ إعرابه، ومعرفةُ المسمَّيات بأسمائها اللازمة غيرِ المشترَك فيها، والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ما سواها، فإنّ ذلك لاَ يجهله أحدٌ منهم. وذلك كسامعٍ منهم لو سمع تاليًا يتلو: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ سورة البقرة: الآيتان ١١ـ١٢ ، لم يجهلْ أنّ معنى الإفساد هو ما ينبغي تركهُ مما هو مضرَّة، وأن الإصلاحَ هو ما ينبغي فِعله مما فعلهُ منفعةٌ، وإنْ جَهِل المعانيَ التي جعلها الله إفسادًا، والمعاني التي جَعلها الله إصْلاحًا. فالذي يعلمه ذو اللسان ـ الذي بلسانه نزل القرآنُ ـ من تأويل القرآن، هو ما وصفتُ: مِنْ معرفة أعيان المسمَّيات بأسمائها اللازمة غيرِ المشترَك فيها، والموصوفات بصفاتها الخاصة، دون الواجب من أحكامها وصفاتها وهيآتها التي خص الله بعلمها نبيَّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فلا يُدرَك علمُهُ إلا ببيانِه،

دون ما استأثر الله بعلمه دون خلقه"[٤٠]. ثم ختم ببيان ما جاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من أقسام التفسير الأربعة، فقد أورد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قائلا: " التفسير على أربعة أوجه، وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله" وبين أن القسم الرابع لا يعد وجها يوصل إلى معرفة تأويله، وإنما هو إخبار عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بأن تأويله لا يجوز لأحد الجهل به، وهو تخريج جيد لقول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

ويمكن تلخيص الوجوه التي يفسر بها القرآن الكريم إلى قسمين:

القسم الأول: ما لا يدرك بيانه، وهو ما استأثر الله تعالى بعلمه، ويكون في:

أ) الخبر عن آجال حادثة.

ب) الخبر عن أوقات آتية.

القسم الثاني: ما يدرك بيانه بطريقين:

الأول: من جهة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وطرق النقل عنه: إما بالنص وذلك: بالنقل المستفيض (التواتر)، أو بالعدول الأثبات، وإما بنصب الدلالة مباشرة، أو غير مباشرة.

والطرق الثاني: من جهة اللسان العربي، وذلك بطريقين: الأول: بالشواهد، والثاني: بمنطقهم المستفيض.

خلاصة هذه الوجوه: ثلاثة، وهي:

الأول: ما يكون بيانه راجعا إلى الله تعالى، أي: تفسير القرآن بالقرآن.

الثاني: ما يكون بيانه راجعا إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أي: تفسير القرآن بالسنة النبوية.

الثالث: ما يكون بيانه راجعاً إلى لغة العرب، وهو ما يعلم من جهة اللسان، فيعلمه كل ذي علم باللسان، وهو

أوسع هذه المصادر، وفيه مجال للاجتهاد، وهو تفسير القرآن باللغة.

وهذه الوجوه الثلاثة هي المصادر الأولية والأساسية للتفسير، ويعبر عنها البعض بطرق التفسير.

الموضوع الثالث: التفسير بالرأي المذموم:

تحدث عنه في المقدمة السادسة له بعنوان: (ذكر بعض الأخبار التي رُويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي)، بعد أن قرر في سابقتها أن من تأويل القرآن مالا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أورد هنا جملة من الآثار المحذرة من القول في القرآن بغير علم، وأكد أن وعيدا ورد في حق من يقول في القرآن برأيه بعد أن ثبت النص النبوي فيه، وإن أصاب القائل، فهي إصابة خارص ظان ليس موقن قائل على الله مالم يعلم. وذكر فيه أخباراً تنهى عن تفسير القرآن بالرأي المذموم أي: بلا علم، فيكون تفسير مستنداً لهوى أو بدعة وذكر ذلك لأنه في الباب السابق ذكر الوجوه الصحيحة لبيان التفسير فذكر بعده التفسير المذموم(٤١).

الموضوع الرابع: الحث على التفسير:

هذا في المقدمة السابعة بعنوان: (ذكر بعض الأخبار التي رُويت في الحض على العلم بتفسير القرآن، ومن يُفسره من الصحابة)، بعد أن فرغ من تأثيم من يتقوّل على الله، شرع في ذكر الأخبار المروية في الحض على التفسير وإعمال الفكر لفهم مراد الله تعالى، فأوضح معنى التدبر لديه أنه يكون على مرحلتين: الأولى: فهم المعاني، والثانية: استنباط واستخراج الفوائد، واللطائف، والمُلح، والأحكام، وإلخ، ثم ذكر أشهر المفسرين من الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، وذكر آثاراً تروي حرص

الصحابة على العلم بتفسير القرآن، وأن من الصحابة من كان يفسر القرآن، وأن من الصحابة من كان عالماً بأسباب النزول ومكان نزول القرآن، وأنه كانت لهم مجالس يفسرون فيها القرآن، ثم بينَ أن تفسير القرآن واجب على الأمة، إذ هي مأمورة بالتدبر، والاتعاظ، والاعتبار، ولا يكون ذلك إلا عن طريق معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم، وبهذا جوزّ التفسير بالرأي المحمود، كما فعل هو في تفسيره[٤٢].

الموضوع الخامس: التأهب من التفسير:

هذا في المقدمة الثامنة بعنوان: (ذكر الأخبار التي غلط في تأويلها مُنكرو القول في تأويل القرآن)، فبعد أن أثبت قبلها نقلاً، وعقلاً جواز التفسير بالرأي المبني على الأسس الصحيحة، بدأ هنا بإيضاح الآثار المروية في إحجام ثلة من الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم ـ عن القول في القرآن، وتفسيره بالرأي، ووقوفهم عند المأثور عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مخرجاً أقوالهم، مبيناً مرادهم، معللاً سبب إحجامهم بقوله: "وأما الأخبار التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه من التابعين، بإحجامه عن التأويل، فإنّ فِعلَ من فعل ذلك منهم، كفعل من أحجم منهم عن الفُتيا في النَّوازل والحوادث، مع إقراره بأنّ الله ـ جل ثناؤه ـ لم يقبض نبيه إليه، إلا بعد إكمال الدين به لعباده، وعلمه بأن لله في كل نازلة وحادثة حُكمًا موجودًا بنصٍ أو دلالة. فلم يكن إحجامُه عن القول في ذلك إحجامَ جاحدٍ أن يكون لله فيه حكم موجود بين أظهُرِ عباده، ولكن إحجامَ خائفٍ أن لا يبلغَ في اجتهاده ما كلَّف الله العلماء من عباده فيه. فكذلك معنى إحجام مَن أحجم عن القيل في تأويل القرآن وتفسيره من العلماء السَّلف، إنما كان إحجامه عنه حِذارًا أن لا يبلغ أداءَ ما كلِّف من إصابة صوابِ القول فيه، لا على أن تأويل ذلك محجوبٌ عن علماء الأمة، غير موجود بين أظهرهم"[٤٣].

ولا تنافي بين الأخبار الواردة فيمن كانوا يهابون القول في القرآن (أي: تأويله) وبين الحث على العلم بتفسير القرآن وذلك:

١. أن الأخبار الواردة تدل على أنهم كانوا يهابون القول في القرآن فيما لا يعلم إلا ببيان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

٢. أو أن إحجامهم ليس إحجام جاحد، ولكن إحجام خائف ألا يبلغ باجتهاده ما كلف الله العلماء من عباده فيه وذلك في الوجه من التفسير الذي لا يعلمه إلا العلماء، وهو مذهب خاص بهم ـ رضي الله عنهم ـ من باب التورع، خشية ألاَ يوافق قولهم الصواب، وإلا فقد فسر كثير غيرهم من الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم ـ ممن كانوا بعهدهم.

وما روي عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه لم يكن يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد فهذه الآيات ذوات العدد هي التي لا تعلم إلا ببيان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آيات الأحكام وهي لاشك آيٌ ذوات عدد.

الموضوع السادس: بيان من كان محموداً علمه بالتفسير، ومن كان مذموماً علمه به.

هذا في المقدمة التاسعة، وهو من باب الجرح والتعديل في رجال التفسير السابقين، حيث قسمهم إلى قسمين: قسم بنى تفسيره على الأصول الصحيحة وهو صادر عن علم ودراية فهو المحمود المقبول، وآخر بناه على غير الأسس السليمة فتفسيره مذموم، ثم روى الأخبار بإسناده عن الصنفين المذكورين، مؤكداً ما سبق له تقريره من وجوه التأويل موضحاً أن أحق الناس في التفسير من وضحت حجته، حيث قال: "فأحقُّ المفسرين بإصابة الحق ـ في تأويلِ القرآنِ الذي إلى عِلم تَأويله للعباد السبيلُ ـ أوضحُهم حُجة فيما تأوّل وفسَّر، مما كان تأويله إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون سائر أمته من أخبار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الثابتة

عنه: إمَّا من جهة النقل المستفيض، فيما وُجِد فيه من ذلك عنه النقلُ المستفيض، وإمَّا من جهة نقل العدول الأثبات، فيما لم يكن فيه عنه النَّقلُ المستفيض، أو من جهة الدلالة المنصوبة على صحته؛ وأصحُّهم برهانًا ـ فيما ترجَم وبيّن من ذلك ـ مَا كان مُدركًا علمُه من جهة اللسان: إمّا بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإمّا من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة، كائنًا من كان ذلك المتأوِّل والمفسِّر، بعد أن لا يكون خارجًا تأويلُه وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك، عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة، والخلف من التابعين وعلماء الأمة"(٤٤).

بيان قوله أن أحق المفسرين بإصابة الحق في تأويل القرآن وتفسيره كائناً من كان المتأول والمفسر هو:

أ) أوضحهم حجة فيما تأول وفسر وكان تأويله منسوباً إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون سائر أمته، ونسبته إلى رسول الله بأحد أمور ثلاثة:

١. إما من جهة النقل المستفيض.

٢. أو من جهة نقل العدول الأثبات.

٣. أو من جهة الدلالة المنصوبة على صحته.

ب) أوضحهم فيما فسر وبين ممن كان مدركاً بالعربية وما فسره يدرك في لسان العرب وذلك:

١. إما بالشواهد من أشعارهم.

٢. أو من منطقهم ولغتهم المستفيضة المعروفة.

بشرط: أن لا يكون خارجاً في تفسيره وتأويله عن أقوال السلف من الصحابة والأمة، والخلف من التابعين وعلماء الأمة ممن تأول وفسر ما فسره وتأوله.

الموضوع السابع: أسماء القرآن وسورة وآية.

في هذا المبحث أورد أسماء القرآن الأربعة الواردة فيه، وبين دليلها من القرآن، ووجه التسمية من كلام العرب والخلاف في ذلك، ثم عرض أسماء السور التي سميت من قبل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وذكر توجيهاً لها من كلام العرب، وبين أقسام سور القرآن (السبع الطوال، والمئون، والمثاني، والمفصل)، وختم المبحث ببيان معنى السورة، والآية في اللغة مدعما قوله بكلام العرب وأشعارها.

وكانت هذه المقدمة العاشرة التي ختم بها مقدماته، وابتدأ بعده ببيان معنى الاستعاذة، والبسملة، شروعا في تفسير سور القرآن(٤٥).

ملخص ما ذكره هنا:

أولاً: أسماء القرآن، ومعانيها.

ذكر أن للقرآن أسماء أربعة وهي: (القرآن ـ الفرقان ـ الكتاب ـ الذكر)(٤٦)، قال الطبري: "إنّ الله تعالى ذكرهُ سمَّى تنزيله الذي أنزله على عبده محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسماء أربعة: منهن: "القرآن"، فقال في تسميته إياه بذلك في تنزيله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ سورة يوسف: آية ٣ ، وقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ سورة النمل: آية ٧٦ . ومنهنّ: "الفرقان"، قال ـ جل ثناؤه ـ في وحيه إلى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُسمِّيه بذلك: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ سورة الفرقان: آية ١ . ومنهن: "الكتاب": قال تباركَ اسمهُ في تسميته إياه به: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ سورة

الكهف: آية ١. ومنهنّ: "الذكر"، قال تعالى ذكره في تسميته إياه به: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ سورة الحجر: آية ٩ ولكل اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب معنى ووجه غير معنى الآخر ووجهه"(٤٧)، ومعاني هذه الأسماء كما يلي:

القرآن:

١. التلاوة و القراءة وهو معنى قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

٢. التأليف وهو قول قتادة ـ رضي الله عنه ـ ولكلا القولين وجه صحيح في كلام العرب.

الفرقان:

(النجاة و المخرج) وهما لفظان مختلفان لفظاً مؤتلفان معنىً وأصل الفرقان عند الطبري الفرق بين الشيئين والفصل بينهما.

الكتاب:

هو خط الكاتب حروف الكتاب المعجم، مجموعة ومتفرقة.

الذكر:

محتمل معنيين:

١. ذكر من الله تعالى ذكّر به عباده فعرفهم فيه حدوده وفرائضه وسائر ما أودعه من حكمه.

٢. أنه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به وصدق بما فيه.

ثانياً: أسماء سور القرآن.

إن لسور القرآن أسماء سماهن بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي:

١. السبع الطوال: (البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس) سميت بذلك لطولها على سائر القرآن.

٢. المئون: ما كان عدد آية مئة آية، أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص منها شيئاً يسيراً.

٣. المثاني: وهي ما ثنى المئين فتلاها، سميت بذلك لتثنية الله تعالى فيها الأمثال والخبر والعبر، أو لأنها ثنيت فيها الفرائض والحدود.

٤. المفصل: سميت بذلك لكثرة الفصول التي بين سورها بـ (بسم الله الرحمن الرحيم).

ثالثاً: معنى السورة، فقال إن فيها لغتين:

١. بغير الهمز (سورة) أي: المنزلة من منازل الارتفاع. سميت بذلك: لأنها تجمع مجموعة من الآيات.

٢. بالهمز (السؤرة) أي: القطعة فهي قطعة من الآيات وجزء من القرآن.

رابعاً: ذكر معنى الآية وأنها تحتمل وجهين في كلام العرب وهما:

١. العلامة لأنها يعرف بها تمام ما قبلها وابتداؤها.

٢. القصة فيكون معنى الآيات القصص.

المبحث الرابع: تطبيقات من تفسير الطبري على موضوعات علوم القرآن سورة الرعد أنموذجاً.

ضمنً الطبري تفسيره لسورة الرعد عدداً من موضوعات علوم القرآن كالتالي:

١- المحكم، والمتشابه.

فقد تكلم في المراد بالأحرف المقطعة الموجودة في فواتح السور، عند بيانه لقول الله تعالى: (المر) وأحال في ذلك إلى ما سبق بيانه في سورة البقرة، وبالرجوع إلى سورة البقرة، وبقراءة ما ذكره من الروايات المروية في معنى المر)، يتضح رأيه في هذه الأحرف بأنها من المتشابه، وليست من المحكم، بدليل كلام السلف في بيان معناها مما يدلنا أنها تشابه وخفي معناها على قوم، ولم يتشابه على آخرين(٤٨).

٢- المكي والمدني:

تطرق الطبري في تفسيره إلى بيان مكية الآية ومدنيتها، من خلال سرد أقوال السلف فيها بالإسناد، وهو الأصل في معرفة المكي والمدني من الآيات، والسور.

مثال: قال الله تعالى: ﴿... وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ سورة الرعد: آية ٣١، نقل الطبري أقوال السلف في هذه الآية مستدلاً بها على مدنيتها، حيث قال: "يقول تعالى ذكره: (ولا يزال) يا محمد (الذين كفروا)، من قومك (تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم بالله، وتكذيبهم إياك، وإخراجهم لك من بين أظهرهم (قارعة)، وهي ما يقرعهم من البلاء والعذاب والنِّقم، بالقتل أحيانًا، وبالحروب أحيانًا، والقحط أحيانًا (أو تحل) أنت يا محمد، يقول: أو تنزل أنت (قريبًا من دارهم) بجيشك وأصحابك (حتى يأتي وعدُ الله) الذي وعدك فيهم، وذلك ظهورُك عليهم وفتحُك أرضَهمْ، وقهرُك إياهم بالسيف (إن الله لا يخلف الميعاد)، يقول: إن الله منجزك، يا محمد ما وعدك من الظهور عليهم، لأنه لا يخلف وعده" ثم أورد ثلاثة أسانيد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ في بيان الآية فقال: "عن ابن عباس، تلا هذه الآية: (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة)، قال: "القارعة": السريّة، (أو تحلّ قريبًا من دارهم)، قال: هو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (حتى يأتي وعد الله)، قال: فتح مكة"، وأورد بسنده عن عكرمة فقال: "في قوله: (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبًا من دارهم)، قال: نزلت بالمدينة في سرايَا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (أو تحل)، أنت يا محمد (قريبًا من دارهم)"(٤٩).

قول عكرمة هنا يدل على مكان نزول الآية، وإذا نقل عن أحد من السلف خاصة الصحابة، ولم يكن له مخالف فيؤخذ بقوله، لأن المنقول هو الأصل في معرفة المكي والمدني. فالآية مدنية الحكم والحدث، وفيها إخبار بالغيب بفتح مكة.

٣- **التوقف عن تفسير الآية إذا لم يتضح له بيانها.**

مثال: قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... ﴾ سورة الرعد: آية ٢.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: الله، يا محمد، هو الذي رفع السموات السبع بغير عَمَد ترونها، فجعلها للأرض سقْفًا مسموكًا. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... ﴾، فقال بعضهم: تأويل ذلك: الله الذي رفع السموات بعَمَدٍ لا ترونها،... وقال آخرون، بل هي مرفوعة بغير عمد"، ثم ساق الروايات بإسناده تحت كل قول، وختم بذكر بقوله: "وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... ﴾ فهي مرفوعة بغير عمد نَراها، كما قال ربنا ـ جل ثناؤه ـ. ولا خبر بغير ذلك، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه"(٥٠) فيلاحظ أنه توقف عن تفسير هذه الآية لما ذكره.

٤- **التفسير بالمثال.**

حيث ذكر قول الشعبي في تفسير قول الله تعالى: ﴿ ...وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ... ﴾، وقد كان تفسيراً بالمثال، فقال عنه: "القردة والخنازير هي المثلات"(٥١). مما يدل على معرفة الطبري بمنهج السلف في التفسير.

٥- **تفسير القرآن بالقرآن.**

قال الطبري: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ سورة الرعد: آية ٧، يقول تعالى ذكره: (ويقول

الذين كفروا) يا محمد، من قومك (لولا أنزل عليه آية من ربه) هلا أنزل على محمد آية من ربه؟ يعنون علامةً وحجةً له على نبوّته، وذلك قولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ...﴾ سورة هود: آية ١٢، يقول الله له: يا محمد (إنما أنت منذر) لهم، تنذرهم بأسَ الله أن يحلّ بهم على شركهم (ولكل قوم هاد). يقول ولكل قوم إمام يأتّمون به وهادٍ يتقدمهم، فيهديهم إما إلى خيرٍ وإما إلى شرٍّ"(٥٢) تفسير بالنظائر.

٦- **تفسير القرآن بالسنة.**

قال الله تعالى﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ... ﴾، قال الطبري في تفسيره للآية: "وذكر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا سمع صوت الرعد قال كما حدثنا الحسن بن محمد قال: حدثنا كثير بن هشام قال: حدثنا جعفر قال: بلغنا أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا سمع صوت الرعد الشديد قال: {اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك}(٥٣)"، ثم أورد أحاديث أخرى بإسناده منها ما رواه عن أبي هريرة رفع الحديث: أنه كان إذا سمع الرعد قال: "سبحان من يسبح الرعد بحمده"(٥٤) (٥٥)، فهذه الروايات من السنة داخلة في معنى الآية، مما يدل على أنه فسر القرآن بالسنة غير المباشرة، وهي طريق من طرق التفسير عند السلف، وهي من علوم القرآن.

٧- **التفسير ببيان أساليب العرب.**

إن معرفة عادات العرب، وأساليبهم في الأقوال والأفعال، ومعرفة أحوالهم أصل من أصول التفسير الذي لا يمكن للمفسر أن يفسر بغير علمها، وهو من علوم القرآن الذي يزيل كثيراً من الإشكالات، والشبه التي قد يصعب الخروج منها إلا بمعرفة أساليب العرب.

مثال: قال الطبري في تفسير قول الله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾ سورة الرعد: آية ١٤: "وقوله: (لا يستجيبون لهم بشيء) يقول: لا تجيب هذه الآلهة التي يدعونها هؤلاء المشركون آلهةً بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرٍّ (إلا كباسط كفيه إلى الماء)، يقول: لا ينفع داعي الآلهة دعاؤه إياها إلا كما ينفع باسط كفيه إلى الماء بسطُه إياهما إليه من غير أن يرفعه إليه في إناء، ولكن ليرتفع إليه بدعائه إياه وإشارته إليه وقبضه عليه.

والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض على الماء، قال بعضهم[٥٦]:

فَإِنِّي وإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمُ كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسِقْهُ أَنَامِلُه"[٥٧]

يلاحظ أن الطبري هنا أورد ثلاثة أحوال لبلوغ الماء في الحالة المذكورة في الآية، واستشهد بأحوال العرب في ذلك.

٨- التفسير بذكر أسباب النزول.

لا شك أن معرفة أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن فبه يعرف المفسر مقتضى حال الخطاب، والمخاطب، ومن ثم فهم مراد الله تعالى[٥٨]، وقد أورد الطبري في بيان من نزلت فيهم قول الله تعالى: ﴿ ... وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ... ﴾ سورة الرعد: آية ١٣[٥٩]، عدة روايات، فقال: "وقد اختلف فيمن أنزلت هذه الآية، فقال بعضهم: نزلت في كافر من الكفّار ذكر الله تعالى وتقدَّس بغير ما ينبغي ذكره به، فأرسل عليه صاعقة أهلكته" ثم أورد عدة روايات في بيان سبب النزول منها ما ذكره بسنده عن مجاهد قال: " جاء يهودي إلى النبي ـ صلى الله عليه

وسلم ـ، فقال: أخبرني عن ربّك من أيّ شيء هو، من لؤلؤ أو من ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأخذته، فأنزل الله: ﴿...وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾(٦٠)، ثم قال: "وقال آخرون: نزلت في رجل من الكفار أنكر القرآن وكذب النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ". ثم أورد بسنده عن قتادة قال: "ذكر لنا أن رجلاً أنكر القرآن وكذّب النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته، فأنزل الله ـ عز وجل ـ فيه: (وهم يجادلون في الله، وهو شديد المحال).

وقال آخرون: نزلت في أربد أخي لبيد بن ربيعة، وكان همّ بقتل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو وعامر بن الطفيل"، ثم أورد بسنده عن ابن جريج قال: "نزلت يعني قوله: (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) في أربد أخي لبيد بن ربيعة، لأنه قدم أربدُ وعامرُ بن الطفيل بن مالك بن جعفر على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فقال عامر: يا محمد أأسلم وأكون الخليفة من بعدك؟ قال: لا! قال: فأكون على أهل الوَبَر وأنتَ على أهل المدَرِ؟ قال: لا! قال: فما ذاك؟ قال: " أعطيك أعِنَة الخيل تقاتل عليها، فإنك رجل فارس. قال: أو ليست أعِنّة الخيل بيدي؟ أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا من بني عامر! قال لأربد: إمّا أن تكفينيه وأضربه بالسيف، وإما أن أكفيكه وتضربه بالسيف قال أربد: اكفنيه وأضربه. فقال ابن الطفيل: يا محمد إن لي إليك حاجة. قال: ادْنُ! فلم يزل يدنو ويقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "ادن" حتى وضع يديه على ركبتيه وحَنَى عليه، واستلّ أربد السيف، فاستلَّ منه قليلا فلما رأى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بَريقه تعوّذ بآية كان يتعوّذ بها، فيبِسَت يدُ أربد على السيف، فبعث الله عليه صاعقة فأحرقته، فذلك قول أخيه:

أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ الحُتُوف وَلا ... أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاك(٦١) وَالأسَدِ
فَجَّعنِي الْبَرْقُ والصَّوَاعِقُ بال ... فَارِس يَوْمَ الكَرِيهَةِ النَّجُدِ(٦٢)"

٩- **التفسير بكلام العرب.**

قال الطبري مفسراً قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ سورة الرعد: آية ٣٢ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ: يا محمد إن يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ويطلبوا منك الآيات تكذيبًا منهم ما جئتهم به، فاصبر على أذاهم لك وامض لأمر ربك في إنذارهم، والإعذار إليهم، فلقد استهزأت أممٌ من قبلك قد خَلَت فمضتْ بُرسلِي، فأطلتُ لهم في المَهَل، ومددت لهم في الأَجَل، ثم أحللتُ بهم عذابي ونقمتي حين تمادَوْا في غيِّهم وضَلالهم، فانظر كيف كان عقابي إياهم حين عاقبتهم، ألم أذقهم أليم العذاب، وأجعلهم عبرةً لأولي الألباب؟

و"الإملاء" في كلام العرب، الإطالة، يقال منه: "أمْلَيتُ لفلان"، إذا أطلت له في المَهَل، ومنه: "المُلاوة من الدهر"، ومنه قولهم: "تُمَلَّيتُ حبيبًا"(٦٤)، ولذلك قيل لليل والنهار: "المَلَوَان" لطولهما، كما قال ابن مُقبل(٦٥):

أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبُعَانِ(٦٦)   أَلَحَّ عَلَيْهَا بِالْبِلَى الْمَلَوَانِ

وقيل للخَرْق الواسع من الأرض: "مَلاً"، كما قال الشاعر(٦٧):

فَأَخْضَلَ مِنْهَا كُلُّ بَالٍ وَعَيِّنٍ   وَجَفَّ الرَّوَايَا بِالْمَلَا الْمُتَبَاطِنِ

لطول ما بين طرفيه وامتداده"(٦٨).

١٠- **التفسير بالإجماع، وتقديمه على اللغة إن خالفته.**

قال الطبري في تفسير قول الله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ سورة الرعد: آية ١٠: "يقول تعالى ذكره: معتدلٌ عند الله منكم، أيها الناس، الذي أسر القول، والذي جهر به، والذي هو

مستخفٍ بالليل في ظلمته بمعصية الله "وسارب بالنهار"، يقول: وظاهر بالنهار في ضوئه، لا يخفى عليه شيء من ذلك. سواء عنده سِرُّ خلقه وعلانيتهم، لأنه لا يستسرّ عنده شيء ولا يخفى" إلى أن قال: "واختلف أهل العلم بكلام العرب في "السّرب".

فقال بعضهم: "هو آمن في سَرْبه"، بفتح السين.

وقال بعضهم: "هو آمن في سِرْبه" بكسر السين"، ثم أورد بإسناده أكثر من عشر روايات عن ست من السلف ما يؤيد المعنى الذي به فسر الآية. ثم ذكر قول أهل اللغة فقال: " واختلف أهل العربية في معنى قوله: (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار)، فقال بعض نحويي أهل البصرة: معنى قوله: (ومن هو مستخف بالليل) ومن هو ظاهر بالليل، من قولهم: "خَفَيْتُ الشيء": إذا أظهرته، وكما قال إمرؤ القيس(٦٩) :

فَإِنْ تَكْتُمُوا الدَّاء لا نَخْفِه وإنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُدِ

وقال: وقد قرئ ﴿...أَكَادُ أُخْفِيهَا ...﴾ سورة طه: آية ١٥ بمعنى: أظهرها.

وقال في قوله: (وسارب بالنهار)، "السارب": هو المتواري، كأنه وجَّهه إلى، وقال بعض نحويي البصرة والكوفة: إنما معنى ذلك: (ومن هو مستخف)، أي مستتر بالليل من الاستخفاء (وسارب بالنهار): وذاهبٌ بالنهار، من قولهم: "سَرَبت الإبل إلى الرَّعي، وذلك ذهابها إلى المراعي وخروجها إليها. وقيل: إن "السُّرُوب" بالعشيّ، و"السُّروح" بالغداة"، ثم عقب بقوله: "وأما الذي ذكرناه عن نحويي البصريين في ذلك، فقولٌ وإن كان له في كلام العرب وجهٌ، خلافٌ لقول أهل التأويل، وحسبه من الدلالة على فساده، خروجه عن قولِ جميعهم"(٧٠). صنيع الطبري هنا تقديم قول السلف المجمع عليه على اللغة، لأن المنطق العلمي يقتضي فساد قول أهل العربية هنا، فلو افترضنا حمل معنى الآية على قول أهل اللغة هنا هذا يلزم منه إبطال قول السلف فيها، وهذا يعني أن هذه الآية لم يفهمها الذين سبقوا هؤلاء اللغويين، ومن المعلوم أنه

لا يخلو عصر من العصور من فهم الأمة للقرآن الكريم على الوجه الصحيح، هذا وناهيك عن فضل فهم وقيمة تفسير السلف عن غيرهم.

١١- تقديم التفسير بالسنة على اللغة.

وهذا أصل من أصول التفسير، وهو من علوم القرآن، فقد أورد الطبري في معنى (طوبى) من قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾ سورة الرعد: آية ٢٩ قول أهل اللغة، أهل التأويل: " و"طوبى" في موضع رفع بـ"لهم".

وكان بعض أهل البصرة والكوفة يقول: ذلك رفع، كما يقال في الكلام: "ويلٌ لعمرو. وإنما أوثر الرفع في (طوبى) لحسن الإضافة فيه بغير"لام"، وذلك أنه يقال فيه"طوباك"، كما يقال: "ويلك"، و"ويبك"، ولولا حسن الإضافة فيه بغير لام، لكان النصب فيه أحسنَ وأفصح، كما النصب في قولهم: "تعسًا لزيد، وبعدًا له وسُحقًا" أحسن، إذ كانت الإضافة فيها بغير لام لا تحسن.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (طوبى لهم) "وذكر سبعة أقوال للسلف، هي كالتالي: نعم ما لهم، وغبطة لهم، وفرح وقرة عين، وحسنى لهم، وخير لهم، واسم من أسماء الجنة، والمعنى: الجنة لهم، وأنها شجرة في الجنة، وقال في هذا القول الأخير: "وقد روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خبر بنحو ما قال من قال هي شجرة" وذكر عدة أحاديث منها ما رواه عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "أن رجلاً قال له: يا رسول الله، ما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة مسيرة مئة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها". (٧١) فعلى هذا التأويل الذي ذكرنا عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، الرواية به، يجب أن يكون القولُ في رفع قوله: (طوبى لهم) خلافُ القول الذي حكيناه عن أهل

العربية فيه. وذلك أن الخبر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن"طوبى" اسم شجرة في الجنة، فإذْ كان كذلك، فهو اسم لمعرفة كزيد وعمرو. وإذا كان ذلك كذلك، لم يكن في قوله: (وحسن مآب) إلا الرفع، عطفًا به على"طوبى"(٧٢).

يوضح لنا المثال السابق منهج الطبري بجلاء في بنائه الإعراب على المعنى، والاعتراض على توجيه النحويين إذا خالف ما ورد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، والسلف ـ رضي الله عنهم ـ، وتقديمه التفسير بالسنة على التفسير باللغة أخذا بالدرج في طرق التفسير.

١٢- **تنزيل الآيات على الواقع.**

ذكر الطبري الرواية عن مصعب بن سعد في معنى قول الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ سورة الرعد: آية ٢٥ ، أنه قال: "قال: سألت أبي عن هذه الآية: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا... ﴾ سورة الكهف: الآيتان ١٠٣ـ ١٠٤، أهم الحرورية(٧٣)؟ قال: لا ولكن الحرورية ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾، فكان سعدٌ يسميهم الفاسقين"(٧٤).

المبحث الخامس: المقدمة ما لها، وما عليها، والقيم التربوية المستفادة منها. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهم مزايا المقدمة.

المستقرئ لمقدمة الطبري يتبين له أنها من أفيد مقدمات كتب التفسير حيث تميزت بسرد الروايات في مناقشة الأقوال وتوجيهها، وله بعد ذلك رأيه في المنقول وترجيح بعض الأقوال على بعض بالاستلال النقلي، والعقلي، هذا إجمالاً، وأما تفصيلاً، فتميزت بالتالي:

١. كتب عشرة مباحث مهمة هي كالمقدمات في مقدمة تفسيره، لتكون عونا لقارئ التفسير، وتغنيه عن مُعاد كثير وهذه المقدمات تضمنت علماً غزيراً.

٢. حسن الترتيب، حيث تدرَّج الطبري في الإقناع من المسلمات إلى الجزئيات.

٣. الربط بين فصول هذه المقدمة، وجعل كل فصل نتيجة للذي قبله.

٤. شملت المقدمة على جملة كبيرة من موضوعات القرآن عامة، وموضوعات أصول التفسير خاصة.

٥. مناقشة القضايا المطروحة بأسلوب علمي هادئ، وذلك بإيراد السؤال والجواب، أو بإيراد معضلة وإيضاحها بالأدلة (٧٥).

٦. اهتمامه بذكر النواحي الإسنادية، والتأصيل لذلك، وبيان المنهج عنده، ونقدها(٧٦).

٧. الجمع بين النقل والعقل في مناقشة القضايا، مما يزيد القارئ فَهماً، وقناعة(٧٧).

٨. ذكر القواعد العلمية في المناقشة، والترجيح(٧٨).

٩. اهتمامه ببيان أسباب اختلاف السلف، وصيغ التعبير(٧٩).

المطلب الثاني: المقدمة ما عليها:

١. عدم تعين القائل عند ذكره للأقوال، وعدم نسبة الآراء أثناء مناقشتها، بل يكتفي بقوله، قال بعض من خفت معرفته، أو قال جماعة، إلى غير ذلك من العبارات التي لا تبين القائل[٨٠].

٢. التطويل بإيراد الطرق العديدة لإفادة معنى واحد، سواء كان لغوياً، أو شرعياً.

٣. كثير من عباراته تتسم بالعمق، وتحتاج إلى تفكيك لفهمها.

٤. طول الفصل بين الجواب، وسؤاله[٨١].

٥. عدم التزامه التام بمنهجه الذي بينه، حيث ذكر أنه مقبل على إنشاء كتاب في شرح القرآن، وتأويله مبينا منهجه فيه هو بيان ما اتفق عليه العلماء وما اختلفوا فيه وذكر أدلة كل مذهب مع بيان الصحيح منه والسقيم بعبارة موجزة واختصار غير مخل، فكان الإخلال منه في المقدمة، والتفسير أكثر.

٦. إيراده لبعض الآثار التي بها نكارة شديدة[٨٢]، ويمكن أن يجاب عنه بالتالي:

أ- أن الطبري كانت طرقه للوصول إلى المعنى متعددة، وهو غالباً لا يكتفي بذكر أثر واحد، وإنما يورد جملة من الآثار فلا يكون هذا الأثر الضعيف هو الدليل الوحيد الذي يستشهد به، ولا يضره ذكره ضمن جلة الآثار الأخرى، لأن العالم يذكر الأدلة من الأعلى إلى الأدنى، وهذا ما فعله ـ رحمه الله تعالى ـ.

ب- أنه يقرر المعنى المراد، ثم يورد الأثر، لتأييد وتعزيز رأيه، فالأثر يأتي تبعا للمعنى، والمعنى في ذاته صحيح، والمعنى الذي قرره لا يعتمد على هذا الأثر فحسب، بدليل أنه لو فُقد هذا الأثر، فإنه سيوصل إلى ما يريده من طريق آخر.

ج- إيراد مثل هذه الأسانيد، وإن كان فيها ضعف يرجع إلى أن العناية بذكرها، ولعلها كانت صبغة في عصر الطبري.

المطلب الثالث: القيم التربوية المستفادة من المقدمة:

١. البدء في أي عمل، وخاصة التأليف في التفسير بذكر الله تعالى، والثناء عليه سبحانه، والصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

٢. الحرص على ترك أثر، ونفع المسلمين بالتدوين.

٣. محاكمة المؤلف إلى مقاصده، وعدم التثريب عليه في مالم يقصده، فلا يحاسب المرء إلا بما اشترطه على نفسه.

٤. الاستفادة من منهج من سبقنا، ومن تراثهم.

٥. التدرج من الكليات إلى الجزئيات في عرض الأقوال، ومناقشتها.

٦. ربط الأفكار بعضها ببعض.

٧. الجمع بين الاستلال العقلي المترتب على الاستلال النقلي للوصول إلى منطقة القناعات عند مناقشة الأفكار.

٨. الذب عن الكتاب، والسنة، والانتصار لهما، ببيان ما ضعف، وما لم يصح من الأقوال، والنقل.

الخاتمـة

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر المتوحد بالكمال ذي الجلال والستر، وعلى رسوله الصلاة والسلام. أما بعد:

فبتوفيق من الله تعالى تم الانتهاء من كتابة هذا البحث، وخلصت منه إلى نتائج متعددة أهمها:

١. أن الطبري تعرض لذكر علوم القرآن، في مقدمة تفسيره، دون أن يسهب فيها.

٢. ذكره لعلوم القرآن في المقدمة كان عرضاً لا غرضاً للتأليف.

٣. أن أغلب من ألف في التفسير تضمنت مقدماتهم موضوعات علوم القرآن، فالطبري لديه بعضها، وغيره حوى غيرها، ولم يستوعب واحد منهم الموضوع كله، مما يدلنا على أن مجموع مقدمات التفاسير استوعبت موضوعات علوم القرآن.

٤. بدأت الكتابة في علوم القرآن مع التأليف في التفسير، وآلت الكتابة فيه كموضوع مستقل.

٥. علينا أن نستشعر جهود السابقين وعنايتهم بالقرآن الكريم لفظاً ومعنى، ومنهم الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ، وعنايته بموضوعات القرآن.

٦. قيمة مقدمة تفسير الطبري العلمية، إذ جمع فيها بين المنقول، والمعقول، وآثار السلف.

٧. قدّم عشر مقدمات بين يدي تفسيره تضمنت جملة من علوم القرآن، وأصول التفسير، والعربية.

٨. تدرج الطبري بتقرير ما يريده بترتيب واضح للقارئ.

٩. أكد الطبري على عربية القرآن، وبين أنه ليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب.

١٠. بينً رأيه في الأحرف السبعة على أنها لغات سبع في حرف واحد باختلاف الألفاظ، واتفاق المعاني.

١١. حصر وجوه التأويل في ثلاثة: وجه استأثر الله تعالى بعلمه، ووجه، يدرك بيانه من جهة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة، ووجه يدرك من جهة اللسان العربي.

١٢. اهتمامه ببيان المنطق العلمي في مناقشة القضية.

١٣. تميز الطبري في تناوله للموضوعات بالاستعانة بفهم السلف للنص بعد إيراد أقوالهم، وعدم الاتكال على العقل أو الاجتهاد الشخصي وحده، فجاءت مقدمته، وتفسيره جامعا بين الرواية والدراية.

١٤. من علوم القرآن في سورة الرعد: المحكم والمتشابه، والمكي والمدني، وتفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن باللغة، التفسير بذكر أسباب النزول، والتفسير بأساليب العرب.

وأوصي: بضرورة العناية بمقدمات التفاسير، واستخراج أنواع العلوم، والفنون، ومنها علوم القرآن، للاستفادة من جهود السلف، ولتأصيل هذا العلم.

ختاماً أحمد الله تعالى على ما يسرَ وأعان، واستغفره من الزلل والتقصير، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء، والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش والتعليقات:

(١) قال الذهبي في كتابه العلو للعلي الغفار: "وتفسير ابن جرير مشحون بأقوال السلف على الإثبات".

(٢) تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧)، ومعجم الأدباء، لياقوت الحموي (١٨/ ٤٠)، وطبقات المفسرين، للداودي (٢/ ١١) والفهرست، لابن النديم ص (٣٢٨)، وما بعدها، وتاريخ بغداد (٢/ ١٦٢).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٣٨٥).

(٤) معجم الأدباء (١٨/ ٤٣)، والتفسير والمفسرون (١/ ٢٠٨).

(٥) الطبري ـ رحمه الله ـ تعالى تطرق إلى بيان المعاني، وناقش الأقوال وأبدى رأيه فيها، فلا تنطبق عليه قاعدة (من أسندك فقد أحالك) أي: حملك البحث عن رجال السند، لأنه لم يكن من منهج الطبري دراسة السند، وهذه القاعدة تصلح لمن لا يتكلم في المعاني. ينظر ما كتبه: د. مساعد الطيار عن أسانيد التفسير، في مقالات في التفسير.

(٦) لمعرفة مزيد عن منهجه في القراءات ينظر: منهج ابن جرير الطبري في القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره، باب: ضوابط اختيار القراءة عند الطبري، رسالة ماجستير لزيد بن علي مهارش.

(٧) مثل: تفسير السُدي (ت ١٢٧هـ)، والحسن البصري (ت ١١٠هـ)، وغيرهما. ينظر: تفسير يحي بن سلام، تحقيق: هند شلبي، ص (١٤).

(٨) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٦٦٣).

(٩) ينظر: التعريفات (١٥٥)، ومناهل العرفان (١/ ١٧).

(١٠) ينظر: المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه (٤٦).

(١١) وإلى هذا المعنى ذهب بعض العلماء، قال ابن العربي المالكي: "وقد ركب العلماء على هذا كلاما، فقالوا: إن علوم القرآن خمسون علماً، وأربعمائة علم، وسبعة آلاف وسبعون ألف علم

على عدد كلم القرآن، مضروبة في أربعة، إذ لكل كلمة منها ظهر وبطن وحدٌ ومطلع، هذا مطلق اعتبار تركيبه، ونضد بعضه إلى بعض، وما بينها من روابط على الاستيفاء في ذلك كله، وهذا لا يحصى ولا يعلمه إلا الله". ينظر: المحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار (٢٣).

(١٢) المرجع السابق.

(١٣) ينظر: حصاد ملتقى أهل التفسير (٣)، الإمام ابن جرير الطبري وتفسيره، المبحث الثالث منهج ابن جرير في تفسيره (٤١)، والتفريغ النصي للتعليق على مقدمة الطبري، للدكتور/ مساعد الطيار، موقع د. مساعد www. attyyar. net.

(١٤) ينظر تفسيره (٣-٧) قال فيه: "الحمد لله الذي حَجَّت الألبابَ بدائعُ حِكَمه، وخَصَمت العقولَ لطائفُ حُجَجه وقطعت عذرَ الملحدين عجائبُ صُنْعه، وهَتفتْ في أسماع العالمينَ ألسنُ أدلَّته، شاهدةٌ أنه الله الذي لاَ إله إلا هو، الذي لاَ عِدْلَ له معادل ولا مثلَ له مماثل، ولا شريكَ له مُظاهِر، ولا وَلدَ له ولا والد، ولم يكن له صاحبةٌ ولا كفوًا أحدٌ؛ وأنه الجبار الذي خضعت لجبروته الجبابرة، والعزيز الذي ذلت لعزّته الملوكُ الأعزّة، وخشعت لمهابة سطوته ذَوُو المهابة، وأذعنَ له جميعُ الخلق بالطاعة طوْعًا وكَرْهًا، كما قال الله ـ جل ثناؤه ـ وتقدست أسماؤه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴾ سورة الرعد: آية ١٥. فكل موجود إلى وَحدانيته داع، وكل محسوس إلى رُبوبيته هاد، بما وسَمهم به من آثار الصنعة، من نقص وزيادة، وعجز وحاجة، وتصرف في عاهات عارضة، ومقارنة أحداث لازمة، لتكونَ له الحجة البالغة" ـ الحمد والثناء على الله تعالى، والمجد له، ـ وقد أطال في ذلك، فكان هذا مدخلاً رائعاً ميز به مقدمته، ونحن نفتقر إلى مثل هذا الصنيع اليوم ـ" ثم أرْدف ما شهدتْ به من ذلك أدلَّته، وأكد ما استنارت في القلوب منه بهجته، برسلٍ ابتعثهم إلى من يشاء من عباده، دعاةً إلى ما اتضحت لديهم صحّته، وثبتت في العقول حجته، ﴿ ... لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ... ﴾ سورة النساء: آية ١٦٥ وليدَّكَّر أولو النهى والحلم. فأمدَّهم بعوْنه، وأبانهم من سائر خلقه، بما دل به على صدقهم من الأدلة، وأيدهم به من الحجج البالغة والآي المعجزة، لئلا يقول القائل منهم: ﴿ ...مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا

تَشۡرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ سورة المؤمنون: الآيتان ٣٣ـ٣٤ فجعلهم سفراءَ بينه وبين خلقه، وأمناءه على وحيه، واختصهم بفضله، واصطفاهم برسالته، ثم جعلهم -فيما خصهم به من مواهبه، ومنّ به عليهم من كراماته- مراتبَ مختلفة، ومنازل مُفترقة، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، متفاضلات متباينات. فكرَّم بعضهم بالتكليم والنجوى، وأيَّد بعضهم برُوح القدس، وخصّه بإحياء الموتى، وإبراء أولى العاهة والعمى- بين فضل الأنبياء، والرسل عليهم الصلاة والسلام، والمعجزات التي أيدوا بها- وفضَّل نبينا محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ، من الدرجات بالعليا، ومن المراتب بالعُظمى. فحباه من أقسام كرامته بالقسم الأفضل وخصه من درجات النبوّة بالحظ الأجزَل، ومن الأتباع والأصحاب بالنصيب الأوفر. وابتعثه بالدعوة التامة، والرسالة العامة، وحاطه وحيدًا، وعصمه فريدًا، من كل جبار عاند، وكل شيطان مارد حتى أظهر به الدّين، وأوضح به السبيل، وأنهج به معالم الحق، وَمَحق به منار الشِّرك. وزهق به الباطلُ، واضمحل به الضلالُ وخُدَعُ الشيطان وعبادةُ الأصنام والأوثان مؤيدًا بدلالة على الأيام باقية، وعلى الدهور والأزمان ثابتة، وعلى مَرِّ الشهور والسنين دائمة، يزداد ضياؤها على كرّ الدهور إشراقًا، وعلى مرّ الليالي والأيام.

ائتلاقًا، خِصِّيصَى من الله له بها دون سائر رسله ـ الذين قهرتهم الجبابرة، واستذلَّتهم الأمم الفاجرة، فتعفَّتْ بعدهم منهم الآثار، وأخملت ذكرهم الليالي والأيام ـ ودون من كان منهم مُرْسلا إلى أمة دون أمة، وخاصّة دون عامةٍ، وجماعة دون كافَّة- بين فضل نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وما خصه الله به من النبوة، والمعجزات ـ، فالحمدُ لله الذي كرمنا بتصديقه، وشرّفنا بإتباعه، وجعلنا من أهل الإقرار والإيمان به وبما دعا إليه وجاء به، ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أزكى صلواته، وأفضلَ سلامه، وأتمَّ تحياته.

ثم أما بعد: فإنّ من جسيم ما خصّ الله به أمة نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الفضيلة، وشرَّفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة، وحباهم به من الكرامة السنية، حفظَه ما حفظ عليهم -جلّ ذكره وتقدست أسماؤه- من وحيه وتنزيله، الذي جعله على حقيقة نبوة نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ دلالة، وعلى ما خصه به من الكرامة علامةً واضحة، وحجةً بالغة، أبانه به من كل كاذب ومفترٍ، وفصَل به بينهم وبين كل جاحد ومُلحِد، وفرَق به بينهم

وبين كل كافر ومشرك؛ الذي لو اجتمع جميعُ من بين أقطارها، من جنّها وإنسها وصغيرها وكبيرها، على أن يأتوا بسورة من مثله لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا. فجعله لهم في دُجى الظُّلَم نورًا ساطعًا، وفي سُدَف الشُّبَه شهابًا لامعًا وفي مضَلة المسالك دليلاً هاديًا، وإلى سبل النجاة والحق حاديًا، ﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ سورة المائدة: آية ١٦. حرسه بعين منه لاَ تنام، وحاطه برُكن منه لاَ يضام، لاَ تَهِي على الأيام دعائمه، ولا تبيد على طول الأزمان معالمه، ولا يجوز عن قصد المحجَّة تابعه ولا يضل عن سُبُل الهدى مُصَاحبه. من اتبعه فاز وهُدِى، ومن حاد عنه ضلَّ وغَوَى، فهو موئلهم الذي إليه عند الاختلاف يَئِلون، ومعقلهم الذي إليه في النوازل يعقلون وحصنهم الذي به من وساوس الشيطان يتحصنون، وحكمة ربهم التي إليها يحتكمون، وفصْل قضائه بينهم الذي إليه ينتهون، وعن الرضى به يصدرون، وحبله الذي بالتمسك به من الهلكة يعتصمون" ـ بين فضل هذه الأمة إنما كان بحفظ كتاب ربها، والعمل به ـ. " ـ (اللهم فوفقنا لإصابة صواب القول في مُحْكَمه ومُتَشابهه، وحلاله وحرامه، وعامِّه وخاصِّه، ومجمَله ومفسَّره، وناسخه ومنسوخه، وظاهره وباطنه، وتأويل آية وتفسير مُشْكِله. وألهمنا التمسك به والاعتصام بمحكمه، والثبات على التسليم لمتشابهه. وأوزعنا الشكر على ما أنعمتَ به علينا من حفظه والعلم بحدوده. إنك سميع الدعاء قريب الإجابة. وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً" ـ ذكر جملة من علوم التفسير، وأصوله، وقد احتلت بعض هذه العلوم مساحة كبيرة في تفسيره كالناسخ والمنسوخ، والعام والخاص ـ.

(١٥) تفسير الطبري (١/ ٧).

(١٦) من خلال استقراء تفسير الطبري تبين أن منهجه في تصحيح أو تضعيف الروايات يعتمد على المعاني لا الأسانيد إلا إذا احتيج الأمر إلى دراسة الأسانيد عندها يتطرق إليها، وهذا منهج عامة من كتب في التفسير من السابقين، لأنهم معاملتهم لأسانيد التفسير تختلف عن معاملتهم لأسانيد الحديث.

(١٧) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٦ـ٧).

(١٨) من طبعة مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار الهجرة، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وهي التي أعتمدها في هذا البحث.

(١٩) هو: الإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، العلامة المحقق كان أصولياً مفسراً، فقيهاً محدثاً، لغوياً بياناً، ورعاً صالحاً، توفي سنة تسعين وسبع مئة. ينظر: نيل الابتهاج، ص (٤٩)، والإعلام (١/ ٧٥).

(٢٠) الموافقات للشاطبي (١/ ٨٧).

(٢١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤٢).

(٢٢) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٢٠ـ٦٢).

(٢٣) المرجع السابق (١/ ١٢ـ١٣).

(٢٤) ينظر: تفسير الطبري (١/ ١٣ـ١٥).

(٢٥) المرجع السابق (١/ ١٧).

(٢٦) ينظر: تفسير الطبري (١/ ١٨).

(٢٧) يعني منهج الطبري أنه لا يوجد لدينا اليوم إلا حرف واحد، وهو قول ينسب إلى جماعة من العلماء، منهم وكيع بن الجراح، وسفيان ابن عيينة، وينسب إلى غيرهم.

وقد وازن مسألة ترك الأحرف الستة بالكفارات؛ لكن هذا قياس مع الفارق كما سبق بيانه في الأعلى.

وذلك أن القرآن نزل بألسنة العرب، وأن ألسنة العرب المراد بها أن المعنى واحد، لكن تختلف الكلمة للترادف، ثم بين بعد، ذلك أننا لا نجد في القراءة التي بين يدينا مثل ما اختاره في الأحرف السبعة، فالنتيجة العقلية عنده: أنه بما أن القرآن جمع بعهد عثمان، واتفقت الأمة على هذا المجموع؛ إذن تركت الأمة التي اتفقت على هذا المجموع هذه الأحرف. هكذا هو رأى احتجاجاً عقلياً مبنياً على هذه الآثار.

وهنا لا بد من التنبيه إلى: أن العصمة للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وأن العالم قد تقع عنده شبهة، بناء على الآثار التي بين يديه، فيعتمد قولاً قد لا يكون هو الصواب، كما حصل مع الطبري ـ رحمه الله ـ هنا حيث قال بالترادف، فلما لم يجده قال: "الأمة التي اختارت هذا الحرف، تركت هذه الأحرف الستة"، ولما قايس ووازن بالكفارات، العتق والطعام والكسوة كان قياساً مع الفارق.

(٢٨) قال الطبري: "صح وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب، البعض منها دون الجميع، إذ كان معلوما أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة، بما يُعجز عن إحصائه، فإن قال: وما برهانك على أن معنى قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "نزل القرآن على سبعة أحرف"، وقوله: "أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف"، هو ما ادَّعيتَ ـ من أنه نزل بسبع لغات، وأمِرَ بقراءته على سبعة ألسُن ـ دون أن يكونَ معناهُ ما قاله مخالفوك، من أنه نزل بأمر وزجر وترغيب وترهيب وقَصَص وَمثَل ونحو ذلك من الأقوال؟ فقد علمتَ قائلَ ذلك من سلف الأمة وخيار الأئمة، قيل له: إنّ الذين قالوا ذلك لم يدَّعوا أن تأويلَ الأخبار التي تقدم ذكرُناها، هو ما زعمتَ أنهم قالوه في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره، فيكونَ ذلك لقولنا مخالفًا، وإنما أخْبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف، يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجهٍ. والذي قالوه من ذلك كما قالوا.

وقد رَوَينا ـ بمثل الذي قالوا من ذلك ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وعن جماعة من أصحابه، أخبارًا قد تقدم ذكرُنا بعضها، ونستقصي ذكر باقيها ببيانه، إذا انتهينا إليه، إن شاء الله، فأما الذي تقدم ذكرُناه من ذلك، فخبر أبيّ بن كعب، من رواية أبي كُريب، عن ابن فضيل، عن إسماعيل بن أبي خالد، الذي ذكر فيه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: "أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرفٍ، من سبعة أبواب من الجنة". ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤١).

(٢٩) المرجع السابق (١/ ٤٢).

(٣٠) قال الطبري: "والدلالةُ على صحة ما قلناه ـ من أنّ معنى قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "نزل القرآن على سبعة أحرف"، إنما هو أنه نزل بسبع لغات، كما تقدم ذكرناه من الروايات الثابتة عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب، وسائر من قدمنا الرواية

عنه، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أول هذا الباب- أنهم تماروْا في القرآن، فخالف بعضهم بعضًا في نفْس التلاوة، دون ما في ذلك من المعاني، وأنهم احتكموا فيه إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (فاستقرأ كلَّ رجل منهم، ثم صَوَّب جميعَهُم في قراءتهم على اختلافها، حتى ارتاب بعضُهم لتصويبه إياهم، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ للذي ارتاب منهم عند تصويبه جميعَهم: "إنَ الله أمرني أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف"، تفسير الطبري (١/ ٤٣).

(٣١) بسط القول في ذلك من ص (٤٣) إلى ص (٤٥).

(٣٢) المرجع السابق (٤٥-٤٩).

(٣٣) بسط القول في ذلك من ص (٥٠ـ٥٢) قال: "فإن كانت الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، عندك ـ كما قال هذا القائل ـ متفرقةً في القرآن، مثبتةً اليوم في مصاحف أهل الإسلام، فقد بطلت معاني الأخبار التي رويتها عمن رويتها عنه من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أنهم اختلفوا في قراءة سورة من القرآن، فاختصموا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فأمر كلا أن يقرأ كما عُلم. لأن الأحرف السبعة إذا كانت لغات متفرقة في جميع القرآن، فغير مُوجب حرفٌ من ذلك اختلافًا بين تاليه (٢) لأن كل تالٍ فإنما يتلو ذلك الحرفَ تلاوةً واحدةً على ما هو به في المصحف، وعلى ما أنزل.

وإذْ كان ذلك كذلك، بطل وجه اختلاف الذين رُوى عنهم أنهم اختلفوا في قراءة سورة، وفسد معنى أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلَّ قارئ منهم أن يقرأه على ما عُلم. إذْ كان لا معنى هنالك يُوجب اختلافًا في لفظ، ولا افتراقًا في معنى. وكيف يجوز أن يكون هنالك اختلافٌ بين القوم، والمعلِّم واحدٌ، والعلم واحدٌ غير ذي أوجه؟ وفي صحة الخبر عن الذين رُوى عنهم الاختلافُ في حروف القرآن على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنهم اختلفوا وتحاكموا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ذلك، على ما تقدم وَصْفُنَاهُ- أبينُ الدلالة على فساد القول بأن الأحرُف السبعة إنما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن، لا أنها لغاتٌ مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني.

مع أن المتدبر إذا تدبر قول هذا القائل ـ في تأويله قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"، وادّعائه أنّ معنى ذلك أنها سبعُ لغات متفرقة في جميع القرآن، ثم

جَمع بين قِيله ذلك، واعتلالِه لقيله ذلك بالأخبار التي رويت عمن رُوِيَ ذلك عنه من الصحابة والتابعين أنه قال: هو بمنزلة قولك تعالَ وهلم وأقبل؛ وأن بعضهم قال: هو بمنزلة قراءة عبد الله "إلازقيةً"، وهي في قراءتنا "إلا صَيْحَةً" وما أشبه ذلك من حُجَجه ـ علم أن حججه مفسدةٌ في ذلك مقالتَه، وأن مقالته فيه مُضادةٌ حججه.

لأن الذي نزل به القرآن عندَه إحدى القراءتين: إما "صيحة"، وإما "زَقية" وإما "تعالَ" أو "أقبل" أو "هلم" ـ لا جميع ذلك. لأن كلّ لغة من اللغات السبع عنده في كلمة أو حرف من القرآن، غيرُ الكلمة أو الحرف الذي فيه اللغة الأخرى.

وإذْ كان ذلك كذلك، بطل اعتلاله لقوله بقول من قال: ذلك بمنزله "هلم" و"تعال" و "أقبل"، لأنّ هذه الكلمات هي ألفاظ مختلفة، يجمعها في التأويل معنى واحد. وقد أبطل قائل هذا القول الذي حكينا قوله، اجتماعَ اللغات السبع في حرف واحد من القرآن. فقد تبين بذلك إفسادُ حجته لقوله بقوله، وإفساد قوله لحجته.

قيل له: ليس القولُ في ذلك بواحد من الوجهين اللذين وصفتَ. بل الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن، هنّ لغات سبع، في حرف واحد، وكلمة واحدة، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، كقول القائل: هلم، وأقبل، وتعال، وإليّ، وقصدي، ونحوي، وقربي، ونحو ذلك، مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعاني، وإن اختلفت بالبيان به الألسن، كالذي رَوَينا آنفًا عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وعمن روينا ذلك عنه من الصحابة، أن ذلك بمنزلة قولك: "هلمّ وتعالَ وأقبل"، وقوله: "ما ينظرون إلا زَقيةً"، و"إلا صيحةً".

(٣٤) قال الطبري في تفسيره (١/ ٥٢ـ٥٣) : "فإن قال: ففي أيّ كتاب الله نجدُ حرفًا واحدًا مقروءًا بلغات سبع مختلفات الألفاظ، متفقات المعنى، فنسلم لك صحةَ ما ادّعيت من التأويل في ذلك"؟

قيل: إنا لم ندع أن ذلك موجود اليوم، وإنما أخبرنا أن معنى قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"، على نحو ما جاءت به الأخبار التي تقدم ذكرناها. وهو ما وصفنا، دون ما ادعاه مخالفونا في ذلك، للعلل التي قد بَيَّنا.

فإن قال: فما بال الأحرف الأخَرِ الستة غير موجودة، إن كان الأمر في ذلك على ما وصفتَ، وقد أقرأهن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم أصحابه ـ، وأمر بالقراءة بهنّ، وأنزلهن الله من عنده على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟ أنسخت فرُفعت، فما الدلالة على نسخها ورَفعها؟ أم نسيتهن الأمة، فذلك تضييعُ ما قد أمروا بحفظه؟ أم ما القصةُ في ذلك؟

قيل له: لم تنسخ فترفع، ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها. ولكنّ الأمة أمرت بحفظ القرآن، وخُيِّرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت. كما أمرت، إذا هي حَنَثتْ في يمين وهي مُوسرة، أن تكفر بأيِّ الكفارات الثلاث شاءت: إما بعتق، أو إطعام، أو كسوة. فلو أجمعَ جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث، دون حَظرها التكفيرَ بأي الثلاث شاءَ المكفِّر، كانت مُصيبةً حكمَ الله، مؤديةً في ذلك الواجبَ عليها من حق الله. فكذلك الأمة، أمرت بحفظ القرآن وقراءته، وخُيِّرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت: فرأت لعلة من العلل أوجبتْ عليها الثباتَ على حرف واحد ـ قراءتَهُ بحرف واحدٍ، ورفْضَ القراءة بالأحرف الستة الباقية، ولم تحْظُرْ قراءته بجميع حروفه على قارئه، بما أذن له في قراءته به".

(٣٥) قال الطبري في المرجع السابق (١/ ٥٩ـ٦٠) : "فإن قال بعضُ من ضعفت معرفته: وكيف جاز لهم تَركُ قراءة أقرأهموها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأمرهم بقراءتها؟

قيل: إن أمرَه إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما كان أمرَ إباحة ورخصة. لأنّ القراءة بها لو كانت فرضًا عليهم، لوجب أن يكونَ العلمُ بكل حرف من تلك الأحرف السبعة، عند من تقوم بنقله الحجة، ويقطع خبرهُ العذر، ويزيل الشك من قَرَأَةِ الأمة. وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين، بعد أن يكون في نقلة القرآن من الأمة من تجبُ بنقله الحجة ببعض تلك الأحرف السبعة. وإذْ كان ذلك كذلك، لم يكن القوم بتركهم نقلَ جميع القراءات السبع، تاركين ما كان عليهم نقله، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما فعلوا. إذْ كانَ الذي فعلوا من ذلك، كان هو النَّظرَ للإسلام وأهله. فكان القيامُ بفعل الواجب عليهم، بهم أولى من فعل ما لو فعلوه، كانوا إلى الجناية على الإسلام وأهله أقرب منهم إلى السلامة، من ذلك.

وأما ما كانَ من اختلاف القراءة في رفع حـرفٍ وجـرِّه ونصـبه، وتسـكين حـرفٍ وتحريكـه، ونقل حرف إلى آخر مع اتّفاق الصورة، فمن معنى قول النبي ـ صلى الله عليه وسـلم ـ: "أمـرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف" ـ بمعزل لأنه معلـوم أنـه لا حـرفَ مـن حـروف القـرآن ـ مما اختلفت القراءة في قراءته بهذا المعنى ـ يوجب المراء به كفرَ المماري به في قول أحـد مـن علمـاء الأمة".

(٣٦) المرجع السابق (١/ ٥٤ـ ٥٩).

(٣٧) يظهر ذلك من قوله (١/ ٦٠) : "وأما ما كانَ من اختلاف القراءة في رفع حرفٍ وجرِّه ونصبه، وتسكين حرفٍ وتحريكه، ونقل حرف إلى آخر مع اتّفاق الصورة، فمن معنى قول الـنبي ـ صـلى الله عليه وسلم ـ: "أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف"ـ بمعزل. لأنه معلوم أنه لا حرفَ مـن حروف القرآن ـ مما اختلفت القراءة في قراءته بهذا المعنى ـ يوجب المراء به كفـرَ الممـارى بـه في قول أحد من علماء الأمة".

(٣٨) ينظر ذلك في مقدمته (١/ ٦٢ـ٦٧)، حيث قال: "القول في البيان عن معنى قـول رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "أنزل القرآن من سبعةِ أبوابِ الجنة"، وذكر الأخبار الواردة بـذلك، قـال أبو جعفر: اختلفت النقلة في ألفاظ الخبر بذلك عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فـروى عن ابن مسعود عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: كان الكتـاب الأول نـزل مـن بـاب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن مـن سـبعة أبـواب وعلـى سـبعة أحـرف: زاجـرٌ وآمـرٌ وحلالٌ وحرامٌ، ومحكم ومتشابه، وأمثال، فأحِلُّوا حلاله وحَرِّموا حرامه، وافعلوا مـا أمـرتم بـه، وانتهوا عما نُهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنّا به كـلٌّ من عند ربنا.

حدثني بذلك يونس بن عبد الأعلى، قال: أنبأنا ابن وهب، قال: أخبرني حَيـوَة بـن شـريح، عن عقيل بن خالد، عن سلمة بن أبي سلمة ابن عبد الـرحمن بـن عـوف، عـن أبيـه، عـن ابـن مسعود، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ... الخ.

(٣٩) قال الطبري ملخصاً قوله في ذلك (١/ ٦٤ـ٦٥) : "ومعنى ذلك كله، الخبرُ منه - صلى الله عليه وسلم ـ عما خصه الله به وأمته، من الفضيلة والكرامة التي لم يؤتها أحدًا في تنزيله.

وذلك أنّ كل كتاب تقدَّم كتابَنا نزولُه على نبيّ من أنبياء الله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ، فإنما نزل بلسان واحد، متى حُوِّل إلى غير اللسان الذي نزل به، كان ذلك له ترجمة وتفسيرًا لا تلاوةً له على ما أنزلهُ الله.

وأنزل كتابنا بألسُن سبعة، بأيِّ تلك الألسن السَّبعة تلاه التالي، كان لهُ تاليًا على ما أنزله الله لا مترجِمًا ولا مفِّسرًا، حتى يحوِّله عن تلك الألسن السبعة إلى غيرها، فيصيرَ فاعلُ ذلك حينئذٍ ـ إذا أصاب معناه ـ مُترجمًا له. كما كان التالي لبعض الكتب التي أنزلها الله بلسان واحد ـ إذا تلاه بغير اللسان الذي نزل به ـ له مُترجِمًا، لا تاليًا على ما أنزله الله به.

فذلك معنى قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: كانَ الكتابُ الأول، نزل على حَرفٍ واحدٍ، ونزل القرآن على سبعة أحرف.

وأما معنى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "إن الكتاب الأول نزل من باب واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب"، فإنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنى بقوله: "نزل الكتاب الأول من باب واحد"، والله أعلم، ما نزل من كتب الله على من أنزله من أنبيائه، خاليًا من الحدود والأحكام والحلال والحرام، كزبور داود، الذي إنما هو تذكير ومواعظ، وإنجيل عيسى، الذي هو تمجيدٌ ومحامد وحضٌّ على الصفح والإعراض ـ دون غيرها من الأحكام والشرائع- وما أشبه ذلك من الكتب التي نزلت ببعض المعاني السبعة التي يحوي جميعَها كتابُنا، الذي خَصَّ الله به نبينا محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمَّته. فلم يكن المتعبَّدون بإقامته يجدون لِرضَى الله تعالى ذكره مطلبًا ينالون به الجنة، ويستوجبون به منه القُرْبَة، إلا من الوجه الواحد الذي أنزل به كتابهُم، وذلك هو الباب الواحد من أبواب الجنة الذي نزل منه ذلك الكتاب.

وخص الله نبيَّنا محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمَّته، بأن أنزل عليهم كتابَه على أوجه سبعةٍ من الوجوه التي ينالون بها رضوان الله، ويدركون بها الفوز بالجنة، إذا أقاموها فكُلّ وجه من أوجُهه السبعة بابٌ من أبواب الجنة التي نزل منها القرآن. لأن العامل بكل وجه من أوجُهه

السبعة، عاملٌ في باب من أبواب الجنة، وطالب من قِبَله الفوز بها. والعمـلُ بمـا أمـر الله ـ جـل ذكره ـ في كتابـه، بابٌ مـن أبـواب الجنة، وتركُ ما نهى الله عنه فيه؛ بابٌ آخر ثانٍ مـن أبوابهـا؛ وتحليلُ ما أحلّ الله فيه، بابٌ ثالث من أبوابها؛ وتحريمُ ما حرَّم الله فيه، باب رابـعٌ مـن أبوابهـا؛ ... " إلى آخر ما قال ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٤٠) تفسير الطبري (١/ ٦٧ـ٧٠).

(٤١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٧١ـ٧٤).

(٤٢) تفسير الطبري (١/ ٧٤–٧٨).

(٤٣) تفسير الطبري (١/ ٧٨ـ٨٤).

(٤٤) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٨٤ـ٨٩).

(٤٥) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٨٩ـ١٠٤).

(٤٦) زاد صاحب مباحث في علوم القرآن اسم التنزيل قال تعالى: (وإنه لتنزيل رب العالمين).

(٤٧) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٨٩).

(٤٨) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٠٥).

(٤٩) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٣٩ـ٥٤٣).

(٥٠) تفسير الطبري (١/ ٤١١).

(٥١) تفسير الطبري (١/ ٤٣٦).

(٥٢) المرجع السابق (١/ ٤٣٧).

(٥٣) ينظر: سنن النسائي (١٠٧٦٣)، والترمذي (٣٤٥٠).

(٥٤) أخرجه ابن مردويه في تفسيره، كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٨٤).

(٥٥) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤٧٦).

(٥٦) هو: ضابىء بن الحارث البرجمي، والبيت في مجاز القرآن (١/ ٣٢٧).

(٥٧) تفسير الطبري (١/ ٤٨٧).

(٥٨) ينظر: الموافقات للشاطبي (١/ ٩٥).

(٥٩) الآية بتمامها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾.

(٦٠) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٧٨)، وذكر الروايات فيها عن علي، وأنس بن مالك، وعبد الرحمن بن صُحار العبديِ ـ رضي الله عنهم ـ.

(٦١) السماك: نجم معروف، والنوء النجم إذا مال للمغيب، وكانوا في الجاهلية يقولون: مطرنا بنوء الثريا والديران والسماك، فنهوا عن ذلك. لسان العرب (٦/ ٣٦٨).

(٦٢) النجد: الشدة، ورجل نجد: شديد البأس، والنَجد: العراق من عمل أو كرب. لسان العرب (١٤/ ٤٩).

(٦٣) تفسير الطبري (١٣/ ٤٧٨ـ٤٨٢).

(٦٤) أي: عشت معه ملاوة من دهرك وتمتعت به. لسان العرب (١٣/ ١٨٨).

(٦٥) ينظر: ديوانه، ص ٣٣٥.

(٦٦) هو: موضع معروف في ديار قيس، وقيل جبل قبل فلج. ينظر: معجم البلدان (٣/ ٣٣).

(٦٧) هو: الطرماح بن حكيم، والبيت في ديوانه، ص ٤٧٧.

(٦٨) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٤٤).

(٦٩) ينظر: ديوانه، ص ١٨٦.

(٧٠) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٧٢ـ٤٧٣).

(٧١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٧١). وينظر: السلسلة الصحيحة (١٩٨٥) (٤/ ٦٣٩).

(٧٢) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥١٩ـ٥٢٩).

(٧٣) هي: فرقة ظهر أولها في العهد النبوي، وقويت في عهد علي رضي ـ رضي الله عنه ـ فقاتلهم، وسموا بالحرورية نسبة إلى حروراء، وهي بلدة على بعد ميلين من الكوفة، كانت مركز خروجهم على علي بن أبي طالب ـ رضي ا لله عنه ـ. ينظر: دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)، ص ٥١، للدكتور/ أحمد محمد جلي، ط ٢، ١٤٠٨هـ.

(٧٤) تفسير الطبري (١٣/ ٥١٥).

(٧٥) ينظر: مقدمة الطبري (١/ ٥٩، ١٥، ١٦، ٢١، ٤٧، ٥٥)

(٧٦) المرجع السابق: (٦١، ٨٣).

(٧٧) المرجع السابق: (٩، ١٨، ٢٠، ٥٣).

(٧٨) المرجع السابق: ص ١٧.

(٧٩) المرجع السابق: (٩٢، ٩٤).

(٨٠) المرجع السابق: (٤٧، ٦٤، ٦٥، ١٠٣).

(٨١) كما في ص (١٣) السؤال، وجوابه في ص (١٥)، وفي ص (٢١) السؤال، وجوابه في ص (٤١) وما بينهما استطراد.

(٨٢) كما في ص (٤٩) أثر سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ، وكما في ص (١١٣)، حيث أورد أثراً ضعيفاً جداً فيه غرابة في المتن وانقطاع في السند، وكما في ص (١٢٠).

المصادر والمراجع

١. الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ت: ١٣٩٦هـ، دار العلم للملايين، ط١٥.

٢. تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، ت: ٤٦٣هـ، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٣. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، لجمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن محمد الزيلعي، ت: ٧٦٢هـ، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٤. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ت: ٨١٦هـ، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥. التفسير والمفسرون، لمحمد السيد حسين الذهبي، ت: ١٣٩٨هـ، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

٦. تفسير يحيى بن سلام، ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني، ت: ٢٠٠هـ، تقديم وتحقيق: الدكتورة/ هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٧. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت: ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، وطبعة أخرى بتحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية.

٨. عرض ونقد دراسة نقدية وتوجيهية لكتاب دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة لعلي ابن محمد بن ناصر الفقيهي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٩. ديوان تميم بن مقبل، تحقيق: د. عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

١٠. ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.

١١. ديوان الطرماح بن حكيم، تحقيق: د. عزة حسن، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي السورية، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، ت: ١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١.

١٣. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، ت: ٢٧٩هـ، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

١٤. سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ت: ٣٠٣هـ، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشراف: شعيب الأرناؤوط، تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٥. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: ٧٤٨هـ، دار الحديث، القاهرة، ط: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٦. طبقات المفسرين العشرين، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: ٩١١هـ، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ.

١٧. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: ٧٤٨هـ، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٨. الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم، ت: ٤٣٨هـ، المحقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٩. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري، ت: ٢٠٩هـ، المحقق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى، القاهرة، ط: ١٣٨١هـ .

٢٠. الفتاوى الكبرى لابن تيمية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: ٧٢٨هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٢١. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي ت: ٧١١هـ، الناشر: دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٢. المحرر في علوم القرآن، لمساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٢٣. مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، لعدنان محمد زرزور، دار القلم، دار الشاميه، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت: ٢٤١هـ، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢٥. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت: ٦٢٦هـ، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٦. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، ت: ٣٩٥هـ، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٧. مقالات في علوم القرآن، وأصول التفسير، لمساعد الطيار، دار المحدث، ط١، ١٤٢٥هـ .

٢٨. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني، ت: ١٣٦٧هـ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.

٢٩. منهج ابن جرير الطبري في القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره، باب: ضوابط اختيار القراءة عند الطبري، رسالة ماجستير لزيد بن علي مهارش.

٣٠. الموافقات، لأبي إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت: ٧٩٠هـ، تقديم: بكر أبو زيد، ضبط: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن القيم، ودار عفان، ط٣، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٣١. المواقع الإلكترونية: حصاد ملتقى أهل التفسير (٣)، الإمام ابن جرير الطبري وتفسيره، المبحث الثالث منهج ابن جرير في تفسيره (٤١)، http:/ / tafsir. net.

٣٢. التفريغ النصي للتعليق على مقدمة الطبري، للدكتور مساعد الطيار/ موقع د. مساعد www. attyyar. net.